رد القمص سرجيوس

على

الشيخ العدوي

حول التثليث والتوحيد

الطبعة الاولى
سنة ١٩٤٦

في أول فبراير ١٩٤٧

يصدر بمشيئة الله

الكتاب الرابع

رد القمص سرجيوس

على

الشيخين الطنيخي والعروي

حول تجسد الله ولاهوت المسيح

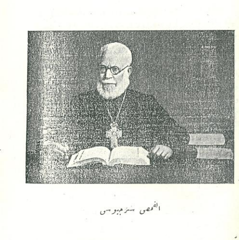
رد القمص سرجيوس

على الشيخ الطنيخى وآخرين
حول سر المائدة أو القربان وموضوعات اخرى
ثمنه ١٠ قروش واجرة البريد ٣٢ مليا

رد القمص سرجيوس

على القائلين بتحريف التوراة والانجيل
أو تغييرها وتبديلهما أو نسخهما أى بطلان حكمهما
وحلول القرآن محلهما ورد اعتراضات أخرى على بعض
آيات من التوراة والانجيل
ثمنه ١٠ قروش والبريد ٣٢ مليا

وتطلب هذه الكتب من مجلة المنارة المصرية بشارع الزهار
رقم ١٧ بالقللى بمصر — تليفون ٤٥٥٣٠



القمص سرجيوس

مقدمة الكتاب

حمداً لله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، الأزلى بلا بداية ، الأبدى بلا نهاية ، الذى لا مثيل له فى ذاته ، ولا شريك له فى صفاته ، الذى أطلعنا بالوحى على سر توحيد جوهره وذاته ، وتثليث أقانيمه وصفاته

وشكراً لوحدانيته المثلثة الاقانيم ، التى طبع بطابعها جميع خلائقه ، « كماركة مسجلة » فى طبيعة الكون ، وواضحة الظهور فى تركيب الانسان الذى هو أشرف خلائقه ، وثالوثه الانسانى القائم فى وجوده وحياته ونطقه ، وأعماله الانسانية تصدر عن هذا الثالوث بل هى انعكاس له .

وهوذا بدون قصد منا قد جاء ترتيب هذا الكتاب فى عدد مؤلفاتنا الثالث ، وجاء الكلام فيه عن التثليث ، وفى مدى شهور ثلاثة من ظهور الكتاب الاول تقدم هذا الثالث للطبع

فالمجد للآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

القمص سرجيوس

يا عدوى

نشرت جريدة السياسة فى عدد ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ مقالا للاستاذ الشيخ محمد المدوى تحت هذه العناوين :

أمانى صائم — دفاع المسيح عليه السلام عن التوحيد — وتبرؤه من عابديه فى الآخرة

واستهل المدوى مقاله هذا بآيات من سورة المائدة تقول :

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم . . . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم »

ثم علق المدوى بما يأتى :

فقال : إنما العجب ان يفهم بعض صغار العقول ان نبياً من الانبياء كائناً من كان أو ملكا من الملائكة يدعو الناس الى عبادة نفسه

ثم أورد المدوى آية قرآنية أخرى قوله : لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون (النساء)

ثم قال المدوى : وان قول بعض الناس فيه انه الله او ثالث ثلاثة فيهم الله هو قول باطل فلا ينبغى ان يجعله الناس إلهاً معبوداً وان الذين بالغوا فى تعظيم نبى الله عيسى حتى أخرجوه من مصاف البشر وجعلوه إلهاً يعبد قد تغالوا فى الدين وقالوا على الله غير الحق

أما براءته من عابديه وعابدى أمه فى الآخرة فذلك ما يقص الله تعالى علينا وهو يقول :

«وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك»

القمص سرجيوس يرد

نعجب باختيار العدوى للآية التى استهل بها مقاله اذ انتقاها من سورة المائدة . والمائدة تتفق مع عنوان مقاله « امالى صائم » وهذا كل ما يبتغيه الصائم هو ان يرى نفسه الى جانب مائدة والسلام وقد قيل : الجائع يحلم نفسه فى سوق العيش

ولكن ننتقد ونعتب

نعتب على الشيخ العدوى وننتقد استهلال مقاله لانعدام براعة الاستهلال منه — وبراعة الاستهلال ألزم ما تكون للكاتب والخطيب — أما الاستاذ العدوى فقد جعل أول القصيدة كفراً عند ما استهل مقاله بكلمة : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح » والعدوى يعلم ان مواطنيه يعتقدون بألوهية المسيح ويعبدونه ويعيدون عيد ميلاده العجيب وقت ظهور هذا المقال

وواجب الجوار والاخاء والمجاملة والذوق يقتضى ان فضيلته يهنئهم بالعيد كما هنأهم فى شخص رئيسهم الدينى رجال السراى والحكومة وأئمة الدين الاسلامى فقالوا لهم كل عام وأنتم بخير ، جعله الله عيداً مباركا ، أما العدوى فكانت معايدته لمواطنيه : أيها الكفار مثواكم النار لانكم تعيدون للمسيح الذى تعتبرونه إلهاً

فان كان العدوى يعتبر نفسه فى حالة حرب مع مواطنيه فالواجب يقتضيه ان يتشبه بالاوربيين الذين يقلدهم فى كل شىء ، فانهم فى حال حروبهم الطاحنة يعقدون هدنة يوم العيد فتقف رحى القتال ويهنىء المتحاربون بعضهم بعضاً ! لا سيما وان الاستاذ العدوى يعلم ان عبادة المسيحيين للمسيح كاله لم تكن بالامر المستحدث حتى يرى نفسه مستعجلا فى انذارهم واعلان كفرهم بل هى عبادة قديمة العهد قبل ان يأتى محمد والقرآن بستة

قرون . فكان فى مقدوره ان يؤجل مقاله هذا حتى تنتهى أيام عيدهم

فكم بالحرى اذا كانت رسالة المدوى والآيات القرآنية التى أوردها الا تنصب على النصارى بل هى كانت مقولة عن أصحاب البدع التى ظهرت قبل محمد أولئك الذين كانوا يعتقدون بان الله ثالث ثلاثة ، والذين كانوا يعتقدون بالهين إله الخير وإله الشر والذين كانوا يعتقدون ان مريم العذراء أقنوم ثالث مع الاب والابن كما سيجيء الكلام بعد

وكيف يتبرأ المسيح من اتباعه فى اليوم الاخير والله يقول له يا عيسى أنا جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، فكيف يقبل عقلك ان المسيح يتبرأ ممن يفضله الله ويرفعه ويعظمه الى يوم القيامة؟! قليل من الوزن يا أستاذ يريح الناس من هذا الخلط

غير موفق يا عدوى !

نعلم يا أستاذ أنك تمسك بناصية اللغة العربية من بديعها الى بيانها وحتى المنطق فلماذا خانك التعبير عند ما قلت : — انما العجيب ان يفهم بعض صغار العقول ان نبياً يدعو الناس الى عبادة نفسه !

فرأيناك يا عدوى تعجب من حيث لا موضع للعجب وفى هذا ما فيه من الدلالة فكيف تعجب من صغار العقول اذا ما فهموا الامور على غير حقيقتها وهذا شأن صغار العقول دائماً لان عقولهم الصغيرة تقصر عن الامتداد الى محيط الحقائق وتعجز عن سبر غورها وادراك كنهها ، وقد قالوا الشيء من معدنه لا يستغرب فلماذا تعجب من المسيحيين ، ما داموا صغار العقول ، اذا قالوا ان المسيح إله وانه تمجد اسمه قال انه إله

كان لك ان تعجب وتنذهل فيما لو ادركت ان المسيحيين هم اصحاب العقول الجبارة مصدر النور والعرفان ، مبعث الفلسفة الحديثة ، وبناة

المدنية ورافعو مستوى العالم وأساس رقيه ، أصحاب الاكتشافات والاختراعات التي غيرت وجه الدنيا . كان لك ان تقول كيف ان هؤلاء المسيحيين الذين كشفوا اسرار الطبيعة ووقفوا على الكثير من عناصرها فاستخدموها واذلوا كبرياء المحيطات فخروا عبابها واستطالوا على رفعة الجو فداسوها بحركات طائراتهم وصعدوا الى الكيميا فسخروها لاغراضهم كيف يؤمنون برجل كان يأكل الطعام هو وأمه ويقولون عنه انه الله ظاهر في الجسد

فكان هذا العجب يقودك الى حقيقة ناصعة وهي حقيقة التجسد التي غيرت العالم يوم نزل ابن الله متجسداً وشارك الناس في شعورهم وآلامهم فكان هذا التجسد مفتاح الاسرار السموية والطبيعية وبدء حياة جديدة وتغييرات جديدة في العالم . ولفت نظرك الى حقيقتين ملموستين ليس لك وجه في مجادلتنا فيهما ولا قدرة لك على انكارهما

الحقيقة الاولى — ان أسرار الطبيعة أخذت تتكشف بعد تجسد الله وظهوره في شخص المسيح على قاعدة كفى التلميذ ان يكون كمعلمه أو الخادم كسيده فتبعت أسرار الطبيعة خالقها في الظهور

والحقيقة الثانية — الديموقراطية الحديثة التي تتطلبها عقلية العالم الجديد ويسعى في أثرها المصريون ويدافعون عنها مع الدول الديموقراطية ، هذه الديموقراطية التي عاش فيها مصطفى كمال وخلفاؤه الذين يركبون الترام كما يركبه عامة الناس ويجلسون على المقاهي العامة كما بمجلس الافراد العاديون وكما يتنازل الملوك الآن فيزورون المستشفيات لمؤاساة افراد رعاياهم بعدان كانت كراماتهم ومجدهم في الحجاب والخفاء

وهذه الديموقراطية اخذت بدءها من اليوم الذي ظهر فيه ابن الله في لباس البشر وأخذ كل ما لنا ما عدا الخطية وجال وسط النــاس يصنع خيراً ويجالس الخطاة والعشارين ويأكل معهم

هذا هو العجب الحقيقي الذي يقود الى كشف الحقائق

لقد خذلك الدليل يا عدوي !

لقد أوردت يا عدوي آية قرآنية اتدلل بهـا على ان المسيح مجرد انسان وليس إلهاً فكنت كمن يقدم السلاح لعدوه ليطعنه به فقدمت لنا سلاحاً حين اوردت قوله :

« لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون(النساء)»

ذكرت يا عدوي هذه الآية وأنت لا تدري ما انطوت عليه من المعاني الدالة على لاهوت المسيح وعظمته وانه شخص سموي لابشري فقط والا فلماذا يقول القرآن عن المسيح انه لا يستنكف ان يكون عبداً لله لم يكن المسيح ليس مجرد انسان بل هو انسان إلهي ؟ فهل قيل عن نبي من الانبياء انه لا يستنكف ان يكون عبداً لله ؟ وهل تعلم ياعدوي لماذا لم يقل عن أي نبي انه لا يستنكف ان يكون عبداً لله ؟ ذلك لان الانبياء بطبيعة خلقتهم عبيد لله حتى ان محمداً الذي تعتبرونه اعظم الانبياء قال عن نفســه : « ما أنا الا عبد ورسول »

أما المسيح له المجد فلكونه روح الله وكلمته الازلي حسب نص القرآن، ولكونه أخذ لباس الجسد المتواضع تراه لم يستنكف ان يكون عبـداً لله بصفته لابساً لباس البشر العبيد

وان هذه الآية القرآنية لها مثيل عندنا في كتاب العهد الجديد حيث قال بولس الرسول : فليكن فيكم هـذا الفكر الذي في المسيح يسوع ايضاً ، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس واذ وجد في الهيئة كانسـان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله واعطـاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب لمجد الله الاب (في ٢ : ٥ — ١١)

واسمع ماذا يقول القديس يعقوب السروجي المولود سنة ٤٣٣ ميلادية وهو يصلى الى المسيح : « أيها العالى الذى طأطأت ارتفـاع عظمتك الى هبوطنا ولم تستنكف من نتانة جراحاتنا »

وأنت تعلم يا أستاذ يا عدوى مدلول كلمة يستنكف ومتى تقال

تقول ان جلالة الملك فاروق لا يستنكف ان يقف يوم الجمعة يصلى فى الجامع مع أفراد رعيته — الصعاليك والعظماء — وكذلك تقول ان جلالة ملك الانجليز لا يستنكف ان يقف فى الكنيسة وقت العبادة الى جانب أفراد رعيته وعبيده، وكذلك تقول لا يستنكف ولى العهد ان يسافر مندوبا عن أبيه كأحد السفراء لأداء مهمة خطيرة تتعلق بمصلحة البلاد وخير المملكة

أو تقول ان جلالة الملك لا يستنكف ان يزور المستشفيات ويؤاسى المرضى من رعاياه ويقدم لهم بيده الكريمة العطايا وما يرفه به عنهم

وقد كانت العادة قديماً أن يترفع الملوك عن مخالطة العامة والظهور بينهم وكانت تقفل الطرق ويمنع مرور الناس فى الشوارع التى يمر فيها الملوك حتى لا تقع عيون الملوك على مناظر الفقراء والبؤساء والصعاليك فتحدث فى نفوسهم اشمئزازاً

هذا التغيير وهذا الانقلاب العالمى حدث بعد ظهور ابن الله من وراء حجاب الخفاء وجولانه وسط الناس ومخالطتهم ومؤاساتهم وتخفيف آلامهم واحتمال نقائصهم

وهذه تصبيرة وقتية يا عدوى أو على حد تعبيرنا البلدى مسح زور وعهدى بك ألا تنسى هذه التعبيرات اللذيذة

فالى اللقاء حيث نتناول لا طعام الافطار لانك قد فطرت والحمد لله انما نتناول الرد بالتى هى أحسن حيث نقيم لك الدليل تلو الدليل على صدق معتقد النصارى فى التثليث والتوحيد

تثليثنا غير التثليث القائم فى اذهانكم

لقد صدر العدوى مقاله بآية من القرآن قوله : لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الا اله واحد، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (المائدة)

ولا ندرى لمن يوجه الشيخ العدوى هذا الكلام فى القرن العشرين؟!

أيوجهه الى المسلمين وهم لا يقولون الآن بشيء من هذا القول اللهم الا اذا كان العدوى يريد أن يحمل المسلمين وزر اجدادهم عرب الجاهلية يوم كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة كاللات والعزى ومناة وكانوا يقولون الله اكبر . ويوم كانوا يعتقدون ان لله بنات وقد ندد بهم القرآن فى (سورة الزخرف) قائلا : ام اتخذ مما يخلق بنات . . . وجعلوا له من عباده جزءاً .. وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الله اناثاً .

وقال الامام البيضاوى فى تفسير هذه الآية : وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولداً فقالوا الملائكة بنات الله وقول القرآن بديع السموات والأرض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (الانعام)

أم يوجهه الى المسيحيين محملا اياهم وزر جماعة خرجوا من بينهم مبتدعين يوم قالوا أن الثالوث هو الاب والابن والام مريم العذراء حاسبين اياها اقنوما من الأقانيم أو جماعة المرقيونية الذين قالوا بثلاثة آلهة : عادل انزل التوراة وصالح نسخها بالانجيل وشرير وهو ابليس أو جماعة الطريثونية أى المثلثة لأنهم كانوا يقولون بثلاثة آلهة أو جماعة المانوية والديصانية من مارقة النصارى الذين كانوا يقولون بالهين احدهما خير وهو معدن النور والآخر شر وهو معدن الظلمة (انظر كتاب مختصر الدول لابن العبرى صفحة ١٢٢ المطبوع بمطبعة اليسوعيين

بيروت سنة ١٨٩٠ وانظر كتاب الملل والنحل للشهرستانى جزء ١ ص١٤٣ و ١٤٧ المطبوع بالمطبعة العثمانية)

وهذه البدع التى ظهرت فى القرن السادس قد شجبتها الكنيسة المسيحية وحكمت على القائلين بها بالقطع من عضوية الكنيسة المسيحية وحرمتهم واعتبرتهم أشر من الكفرة والملحدين . ولما جاء القرآن تابع الكنيسة المسيحية فى تكفير اصحاب هذه البدع التى كانت فى زمان محمد فقال : لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة (المائدة) وقال ايضاً لا تتخذوا الهين اثنين (النحل) فكان حكم القرآن فى اصحاب هذه البدع كحكم الكنيسة المسيحية

اذن لا يلحق المسيحيين عيب هؤلاء المبتدعين بل بالعكس تعلو وجوهنا نحن المسيحيين هالة من النور والفخار لاننا اول من حكم على هؤلاء المبتدعين بالكفر فاجتثثنا هذه البدع من اصولها حتى لم يبق لها أثر فى العالم الى هذا اليوم

أم انه العروى يوجه كلامه الى الوثنيين ؟ نعم ان للوثنيين ثالوثاً ولفلاسفة الهنود آراء فى برهمة وهو على اعتقادهم جوهر الهى بسيط غير شاعر بنفسه خال من الصفات، صدر منه ثلاثة آلهة تنوب عنه وتفوق غيرها من الآلهة مقاماً واسم الاول برهمة وهو الخالق أصل كل شيء، واسم الثانى وشنو وهو الحافظ لكل شيء، واسم الثالث شيوا وهو المخرب. ومع عدم مطابقتها لتعليم الكتاب المقدس فى التثليث فانها لا تتضمن شيئاً مما ندد به القرآن ولا يفهم منها تعدد الآلهة او أن لله بنات كما كان يعتقد عرب الجاهلية !

لا . لا يا قوم ان التثليث القائم فى اذهانكم والذى ندد به القرآن، واعتبر القائلين به كفاراً ومأواهم النار ليس هو تثليث النصارى القائلين ان الله واحد مثلث الاقانيم

واذ نحن نقول لكم ذلك وانتم اذ تقبلونه تحاولون مشاكل خطيرة

لا تقوون على حلها فيما لو تمسكتم برأيكم بأن القرآن يوجه الى المسيحيين قوله « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة »

وها نحن نبدأ بأبسط الاعتراضات ونقول لكم :

كيف يكون القرآن كلام الله العليم بذات الصدور وهو تعالى يعلم بان النصارى كفاراً ومثواهم النار لأنهم يقولون بان الله هو المسيح وان الله ثالث ثلاثة وان عقائدهم هذه فى المسيح والتثليث كانت قبل مجىء محمد ونزول القرآن ثم يقول عن هؤلاء النصارى وهم هم بعينهم وفصهم ونصهم دون ان يكون قد طرأ عليهم ادنى تغيير فى عقائدهم يقول : ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (سورة البقرة)

وهذه الآية تدل دلالة واضحة صريحة على ان النصارى موحدون وليسوا بمشركين لان المشركين لا أجر لهم وقد أعد لهم الخوف والحزن فى الآخرة واظن انه لا يوجد احد له ذرة من العقل يقول ان النصارى لا يستحقون الأجر الا بشرط الاسلام . واذا وجد مكابر فالرد عليه سهل بسيط وهو ان الآية القرآنية التى قالت بأجر الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين لم تشترط عليهم الاسلام حتى ينالوا الأجر اذ لاداع ان يضمر القرآن هذا الشرط . ولو كان الاسلام شرطاً لنيل الأجر لما كانت هناك ضرورة لذكر الذين آمنوا لأن الاسلام عند المسلمين مرادف للايمان والايمان لا يشترط على المؤمن

وهاك آية اخرى من القرآن تشهد بان النصارى مؤمنون بالله دون ان يعتنقوا الاسلام واسمعها يا عدوى باذنك واقرأها بعينك قوله « ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين » (آل عمران) .

وقوله : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى

ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون (المائدة)

واسمع يا عدوى قوله ايضاً : «وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله (سورة الحديد)

واسمع ايضاً يا عدوى قوله : لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون (العنكبوت)

واسمع يا عدوى ما كان أعظم قوله : إذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة (آل عمران)

واسمع اقوى برهان حى عملى لا زال معمولا به إلى هذه الساعة قوله فى (سورة البقرة) «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» وفى سورة المائدة يبيح الزواج بالنصرانيات بلا قيد ولا شرط كما جاء فى السورة عينها قوله : اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين او متخذى اخدان »

فلو كان القرآن يعتبر النصرانيات مشركات لما ساواهن بالمؤمنات ولحظر على المسلمين الزواج بهن الا بشرط الاسلام كما اشترطه على المشركات

فهوذا آيات القرآن العديدة تشهد بأن الله جعل فى قلوب النصارى رأفة ورحمة ورهبانية كتبها الله عليهم ابتغاء مرضاة الله وأمر المسلمين بألا يجادلوهم الا بالتى هى أحسن وان يقولوا لهم آمنا بالذى أنزل اليكم يا نصارى، وان إلهنا وإلهكم واحد، وان النصارى أمة قائمة تتلو آيات الله آناء الليل ويسجدون ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات ومن الصالحين وانهم أقرب

مودة للذين آمنوا وان منهم قسيسين ورهباناً وهم لا يتكبرون ويعملون صالحاً ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان عيسى معبودهم قد طهره الله من الذين كفروا وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة، وان طعامهم حل للمسلمين وطعام المسلمين حل لهم وان الزواج بالمشركات محظور على المسلمين الا بشرط الاسلام . أما الزواج بالنصرانيات فمباح بدون شرط الاسلام

فهل يعقل وهل عدالة الله ترضى ان النصارى المشهود لهم من القرآن هذه الشهادات التى لم يحظ بها من المؤمنين سوى النصارى ، ان تنصب عليهم آيتك ياعدوى ويكونوا هم الكفار الذين مثواهم النار اللهم الا اذا أردت ما لانقبله نحن فى القرآن ولا نرضى لك ان تتهم القرآن بانه يقول الشيء وضده فى الوقت الواحد وعن الشخص الواحد دون ان يتغير هذا الشخص عن كل الاخلاق والصفات التى أوجبت مدحه ولا تنس يا أستاذ ان القرآن جعل النصارى فوق الذين كفروا وإياك ان تقول ان هذه المرتبة نزلوا عنها بعد ذلك لان القرآن يقول باستمرار هذه الدرجة العليا لهم الى يوم القيامة

تثليثنا من تعليم الوحى فى الكتاب المقدس !

وفضلا عما تقدم من الادلة على ان النصارى ليسوا كفاراً لكونهم يقولون بالتثليث والتوحيد ، فاننا نقول للشيخ العدوى ان عقيدة التثليث عند النصارى ليست من اوضاع المجامع ولا من تفاسير المجتهدين ولا هى فلسفة عقلية انما هى تعليم إلهى موحى به فى التوراة والانجيل كبقية الاعلانات الالهية التى أعلنها الله للبشر عن ذاته تعالى

وما علينا نحن أهل الكتاب الا النزول على ماجاء فى كتابنا والقرآن لم يحرم علينا النزول على ماجاء فى التوراة والانجيل حتى يعتبرنا العدوى كفاراً

ان تمسكانا بعقيدة واضحة صريحة وردت فيهما بل على العكس نرى القرآن يحضنا على التمسك بما جاء في التوراة والانجيل . واليك ما جاء في القرآن من الحض : « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون(سورة المائدة) وقوله : وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ... انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ... ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون(المائدة)

ولكي تعلم أيها العدوي ان تعليم التثليث والتوحيد هو تعليم الله في الكتاب المقدس نفتح أمامك صفحاته المقدسة ونريك :

ثلاثة أقانيم في اله واحد

جاء في (المزمور ٣٣ : ٦) قوله :

« بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها »

فترى في هذه الآية ثلاثة في واحد « الرب »،«وكلمته»،«ونسمة فيه» أي روحه

وجاء في انجيل متى ٢٨ : ١٩ قول السيد المسيح لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس »

وترى في هذه الآية ان الاب هو الرب في الآية السابقة ، والابن هو الكلمة ، والروح القدس هو النسمة ، كما انها تبين بكل جلاء ان الثلاثة متساوون لان العماد يجرى باسم كل منهم على السواء.

فالوحي ثلث الاقانيم ووحد الاسم اذ لم يقل باسماء الاب والابن والروح القدس بل قال باسم الاب والابن والروح القدس

وجاء في (٢ كو ١٣ : ١٤) قوله : « نعمة ربنا يسوع المسيح،ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم آمين »

من هذه الآية ترى : ربنا يسوع الابن له النعمة ، والآب له المحبة ، والروح القدس له الشركة والرسول يطلب ان تكون هذه المواهب مع المسيحيين .

وجاء في (غل ٤ : ٦) قوله : « ثم بما انكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم »

فيتبين من هذه الآية ثلاث أقانيم : الله الذي أرسل وروح الابن المرسل ، والابن المنسوب له الروح

وجاء في (اف ٢ : ١٨) قوله عن المسيح : « لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد الى الآب »

وفي هذه الآية ترى ثلاثة : المسيح الذي نتقدم به ، والروح الذي لنا القدوم فيه ، والآب الذي صار لنا القدوم اليه

وجاء في (١ يو ٥ : ٧) قوله : «فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد »

وفي هذه الآية يجد المسلمون الجواب الكافي على سؤالهم الذي يكررونه دائماً : أين النص الكتابي الذي يقول ان الآب والابن والروح القدس إله واحد وها الآية تقول صريحاً « وهؤلاء الثلاثة هم واحد »

ولم يقتصر الامر على القول بالثلاثة فقط بل نرى الثالوث قد ظهر بالفعل عند عماد السيد المسيح كما ورد في انجيل (متى ص ٣ : ١٦ و ١٧) قوله : « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السموات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت »

فترى الابن في نهر الأردن بالجسد يعتمد من يوحنا ، والروح القدس آتياً عليه في شبه حمامة ، والآب ينادي من السماء قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت

وفي سفر التكوين ورد ذكر الله بصيغة الجمع وذلك في الأصل العبراني

الذى هو لغة العهد القديم التى كتب بها وهذا لفظه العبرى « الوهيم » وترجمته الحرفية « آلهة أو ومفردها « الوه » المعربة « الله »

ففى الاصحاح الاول من سفر التكوين والعدد الاول يقول : فى البدء خلق « الوهيم » السموات والارض

وفى عد ٢٦ منه يقول : « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا »

وفى ص ٣ : ٢٣ من التكوين يقول : « هوذا الانسان قد صار كواحد منا »

ولما كان استعمال صيغة الجمع وضمير الجمع يدل على تعدد فى وحدة اللاهوت وقد فهم العبرانيون هذا التعدد ، فان الوحى الالهى قال بلسان موسى النبى فى (سفر التثنية ص ٦ : ٤)

שמע ישראל יהוה אלהינו יהוה אחד

ولفظه العبرانى : « يسمع يسرائيل يهوه الوهينو يهوه أحد »

وترجمته الحرفية : اسمع يا اسرائيل الرب آلهتنا رب واحد

يقولون ضمير الجمع للتعظيم

نرد : بان الله تعالى لما أراد ان يكشف للناس عن ارادته ويوحى اليهم عن ذاته وصفاته لهدايتهم تنازل الى مستوى البشر العقلى وخاطبهم بلغاتهم وعبر لهم باصطلاحاتهم ليحل لهم مشكلات الحياة ويجلى لهم الغوامض وذلك بأساليب يفهمونه ويعقلونه

وهذا أمر يوافقنا عليه ويتفق معنا فيه كل من يؤمن بضرورة الوحى والكتب المنزلة .

وإذا علمنا ذلك وسلمنا به وجب ان نبحث هل كان الناس فى ذلك الوقت الذى كتب فيه سفر التكوين يستعملون ضمير الجمع للتعظيم ؟

ولا يمكننا معرفة هذا من عدمه الا من سفر التكوين نفسه وما ورد فيه من الكلام عن الملوك والعظماء، وأحاديثهم ومخاطباتهم

فهوذا أمامنا ما ورد في (سفر التكوين ص ١٢ : ١٨ و ١٩) يقول: « فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذى صنعت بى ، لماذا لم تخبرنى انها امرأتك ، لماذا قلت هى أختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى »

فمن هذا ترى ان فرعون مع عظمته وجبروته ومجده يخاطب عظيماً ومهوباً مثل ابراهيم الخليل فلم يقل عن نفسه بنا بل بى ولم يقل تخبرنا بل تخبرنى . ولا قال أخذناها بل أخذتها . ولا قال لنا بل لى . ولم يقل زوجتنا بل زوجتى

وكذا لم يخاطب ابرهيم قائلاً : صنعتم بل صنعت . ولا قال امرأتكم بل امرأتك . ولا قلتم بل قلت ولا اختنا بل اختى

مما دل على ان ضمير الجمع لم يكن مستعملا ذاك الوقت للتعظيم في مصر مركز العلم والمدنية والعظمة

وفي ص ١٤ : ٢١ — ٢٣ في حديث ملك سدوم مع ابرهيم الخليل وكان ابرهيم قد أنقذه وبلاده من الاسر واسترد له أملاكه أعنى ان ابرهيم كان لا يقل عن ملك سدوم في العظمة والكرامة . اسمع بماذا كان يخاطبه :

« قال ملك سدوم لابرام اعطنى النفوس وأما الاملاك فخذها لنفسك . فقال ابرام لملك سدوم رفعت يدى الى الرب الاله العلى مالك السماء والارض لا آخذن لا خيطاً ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك فلا تقول أنا اغنيت ابرهيم »

فمن هنا ترى ان ملك سدوم وهو يخاطب ابراهيم العظيم ، وابراهيم وهو يخاطب ملك سدوم لم يخاطب أحدهما الآخر أو يتكلم عن ذاته بضمير الجمع بل المفرد .

وكذا في ص ٢٠ من هذا السفر عينه عند ما أخذ أبيمالك ملك جيرار

سارة امرأة ابراهيم يقول : فدعا أبيمالك ابرهيم وقال له ماذا فعلت بنا وبماذا اخطأت اليك حتى جلبت عليّ وعلى مملكتي خطية عظيمة اعمالا لا تعمل عملت بي

فتجد فى هذا ان كلام ملك جيرار أيضاً عن نفسه لم يستعمل فيه ضمير الجمع للتعظيم أو عند الكلام عن ابرهيم بل ضمير المفرد . ولا تظن ان كلمة فعلت بنا كانت عن نفس ملك جيرار بل كانت عنه وعن أهل مملكته كما هو ظاهر وواضح فى النص قوله علي وعلى مملكتي

وفى ص ٤١ : ٤٠ و ٤١ من السفر عينه كلام فرعون مصر مع يوسف يقول : « أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي . الا انالكرسى أ كون فيه أعظم منك »

ومن هذا ترى ان أعظم ملك فى العالم ذاك الوقت وهو يخاطب أعظم رجل فى مملكته لم يستعمل ضمير الجمع للتعظيم لا لنفسه ولا ليوسف بل ضمير المفرد المتكلم والمخاطب

فن هذه النصوص نجد ان لغة سفر التكوين ليس فيها ما يدل على ان الملوك والعظماء قد استعملوا ضمير الجمع للتعظيم

بل نذهب الى ما بعد زمن سفر التكوين بقرون وأجيال ونصل الى زمن ملوك بابل أصحاب العظمة والسيادة فلا نجد هذا الاصطلاح جارياولا مستعملا ومن يتصفح سفر دانيال النبي الذى عاش الى سنة ٥٣٤ قبل الميلاد فلا يجد اصطلاح ضمير الجمع للتعظيم

وكلنا يعلم عظمة ملوك بابل الذين جعلوا أنفسهم آلهة وأجبروا الناس على عبادتهم ومع ذلك لم نلمح فى كلامهم ضمير الجمع للتعظيم

فقد ورد فى سفر دانيال ص ٤ : ٦ عن الملك نبوخذنصر قوله :

انا نبوخذنصر قد كنت مطمئناً فى بيتي وناضراً فى قصري رأيت حلماً فروعني والافكار على فراشي ورؤى رأسي أفزعتني فصدر مني أمر باحضار جميع حكماء بابل قدامي ليعرفوني بتعبير الحلم »

فترى فى كلام اعظم امبراطور فى العالم ذاك الوقت كيف انه لم يستعمل ضمير الجمع للتعظيم بل تكلم عن نفسه بضمير المفرد

وهذا يدل دلالة واضحة على ان لغة ضمير الجمع للتعظيم لم تكن مستعملة فى الشرق الى ذلك الوقت

فاذا كان ضمير الجمع للتعظيم لم يكن مستعملا ولا هو باصطلاح معروف لدى الناس ذاك الوقت فكيف يستعمل الله فى كلامه مع الناس اصطلاحاً غير معروف عندهم وهو تعالى الذى تنازل وخاطب الناس بلغاتهم واصطلاحاتهم . لا سيما وان البشر ذاك الوقت كانوا قد أصيبوا بعبادة الاصنام وتعدد الآلهة

ولولا ان الله جمع فى ذاته لما كان الكتاب المقدس يذكر اسم الله بصيغة الجمع حتى لا يتخذه البشر ذريعة للاعتقاد بتعدد الآلهة

ولا أدل على قولنا هذا من ان الله تعالى لما رأى ان شعب اسرائيل قد رسخ فى عقولهم ان الله جمع فى ذاته أوحى الى موسى يقول لهم كما أسلفنا القول : اسمع يا اسرائيل الرب آلهتنا رب واحد. حتى لا يتخذوا من كلمة الوهينو العبرانية التى ترجمتها آلهتنا ما يدفعهم الى الاعتقاد بتعدد الآلهة كبقية الأمم

أقانيم وليست صفات أو أسماء

وقد أعلن الله تعالى لنا فى كتابه المقدس ان الاقانيم الثلاثة فى ذاته الواحدة ليست صفات ولا أسماء ، بل هم ثلاثة أقانيم فى ذاته الواحدة وذلك لأن :

أولا — كل أقنوم يتخذ مظهراً خاصاً كما جاء فى الانجيل (متى ص ٣ : ١٦ و ١٧) قوله : « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء . وإذا

السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السموات قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت »

وفى ص ١٧ : ٥ من انجيل متى نفسه يقول عن تجلى السيد المسيح على الجبل : « إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا »

فترى من هذين النصين الكتابيين كيف ان كل أقنوم من أقانيم الله الثلاثة قد اتخذ مظهراً خاصاً . فالآب ينادى من السماء والابن واقف فى الماء والروح نازل فى صورة حمامة

ثانياً — وكل أقنوم يتكلم مع الآخر أو عنه كما جاء فى انجيل يوحنا ص ١١ : ٤ قول المسيح ابن الله : « أشكرك ايها الآب لانك سمعت لى »

وفى ص ١٢ : ٢٨ قول الابن : « أيها الآب مجد اسمك » . فجاء صوت من السماء مجدت وامجد أيضاً »

وفى ص ١٤ : ٢٦ من الانجيل ذاته يقول الابن عن الروح القدس : « هو يعلمكم »

وفى ص ١٦ : ١٤ يقول ايضاً عن الروح القدس : « ذاك يمجدنى لانه يأخذ مما لى ويخبركم »

وفى ص ١٥ : ٢٦ من انجيل يوحنا عينه يقول الابن عن الروح القدس « انه يشهد لى »

ومعلوم ان الصفات التى يتصف بها أى شخص أو الاسماء التى يسمى بها لا يمكن ان تخاطب بعضهـا بعضاً أو تتكلم عن بعضها كلاماً يسمع بالآذان كما سمعنا وقرأنا عن الاقانيم الثلاثة الالهية

ثالثاً — الاقانيم يرسل أحدها الآخر ويخرج الواحد من عند الآخر ويرجع اليه

فقد جاء في انجيل يوحنا ص ٣ : ١٧ قوله : « لأنه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم »

وفي ١يو ٤ : ١٤ يقول : ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم .

وفي ص ١٣ : ٣ و٢٦ و ٢٨ من يوحنا يقول : وان الابن قد خرج من الاب وأتى الى العالم ويترك العالم ويمضي الى الاب

وفي ص ١٥ : ٢٦ من يوحنا يقول : ومتى جاء المعزي الذي سأرسله انا اليكم من الاب روح الحق الذي من عند الاب ينبثق

فلو كان هؤلاء الأقانيم الثلاثة صفات أو أسماء لما كان يمكن القول بان احدى الصفات أرسلت صفة أخرى أو احد الاسماء أرسل اسماً آخر من الأسماء

رابعاً – ينسب لكل اقنوم عمل خاص فنسب للآب

١ – الاختيار في المسيح

كما جاء في اف ٣:١ و٤ قوله : « مبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح كما اختارنا قبل تأسيس العالم »

٢ – والتعيين للتبني

كما جاء في رو ٢٩:٨ قوله : لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين اخوة كثيرين

وفي اف ٥:١ قوله : اذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته

٣ – والدعوة

جاء في رو٨ : ٣٠ قوله : والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم ايضاً

ونسب للابن

١ — الفداء

جاء في (غل٤:١) قوله . «الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير» (وفي غل ٣ : ١٣) قوله : «المسيح افتدانا من لعنة الناموس» (وفي اف٧:١) قوله «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا»

٢ — ومنح الحياة

جاء في (يو ١ : ٤ و٥) قوله : «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه»

٣ — والمغفرة

جاء في (انجيل متى ص ٦:٩) قوله : ولكن لكي تعلموا أن لابن الانسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا ، حينئذ قال للمفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك فقام ومضى

(وفي اع ١٠ : ٤٣) قوله : «له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا»

(وفي اف ١ : ٧) قوله : «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا» .

٤ — والعتق من الخطية

جاء في (يوحنا ٨ : ٣٤ — ٣٦) قوله : «أجابهم يسوع الحق الحق أقول لكم ان كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية . والعبد لا يبقى في البيت إلى الابد أما الابن فيبقى الى الابد . فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» .

ونسب للروح القدس

١ — الولادة الجديدة

جاء في (يو ٣ : ٥ و ٦) قوله : «أجاب يسوع الحق الحق أقول لك ان كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح . لا تتعجب اني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع

صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا الى أين تذهب هكذا كل من ولد من الروح »

٢ — والتجديد

جاء فى (تى٣:٥و٦) قوله : « لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا»

٣ — والتقديس

جاء فى (٢ تس ٢:١٣) قوله : « ان الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق .

(وفى ١بط١:٢) قوله : « بمقتضى علم الله الاب فى تقديس الروح للطاعة.

فترى من هذه الآيات التى أوردناها أن كلا من هؤلاء الأقانيم الثلاثة يخاطب الآخر ويتكلم عنه

وان احدهم يرسل الآخر ويرسل منه ويخرج من عنده ويرجع اليه وان كلا منهم ينسب اليه عمل خاص ولكل منهم مظهر خاص ظهر به

بناء على ذلك لا يمكن أن يكون هؤلاء الأقانيم صفات ولا أسماء بل هم اقانيم ثلاثة يتميز الواحد عن الآخر من حيث الأقنومية وإذ ذاك يكون ايماننا بالآب والابن والروح القدس ليس تعليما بشريا بل هو وحى الله المعلن فى التوراة والانجيل

ومع كوننا نعتقد بموجب كلمة الله بأن هؤلاء الأقانيم الثلاثة هم أقانيم متميزون عن بعض من جهة الأقنومية الا اننا لا نعتقد أنهم منفصلون عن بعض كانفصال حنا ومتى وبطرس . ولا انه يوجد تفاوت بينهم فى الزمان او المقام أو الصفات كالتفاوت الذى يوجد بين أشخاص من البشر . انما نعتقد انهم متحدون فى الجوهر متساوون فى سائر الصفات والكمالات الالهية الأمر الذى لا يوجد له نظير بين اشخاص من البشر

الثلاثة اقانيم جوهر واحد

فكما ان الكتاب المقدس أعلن وجود ثلاثة أقانيم متميزين عن بعض من جهة الأقنومية وهم الآب والابن والروح القدس . هكذا أعلن أيضاً بأن هؤلاء الثلاثة هم واحد وليسوا ثلاثة آلهة

جاء فى رسالة يوحنا الأولى ص ٥ : ٧ قوله : « فان الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد »
وفى سفر التثنية ص ٦ : ٤ يقول « اسمع يا إسرائيل : الرب آلهنا رب واحد
وفى اشعياء ص ٤٤ : ٦ يقول : « انا الأول وانا الآخر ولا إله غيرى »
(وفى ١ كو ٨ : ٤ و ٥) قوله : « نعلم انه ليس وثن فى العالم وان ليس إله آخر الا واحد . لانه وان كان وجد ما يسمى آلهة سواء كان فى السماء أو على الارض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون . لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له ، رب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به »
(وفى غل ٣ : ٢٠) قوله : « وأما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد »
(وفى ١ تى ٢ : ٥) قوله : « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح »

فمن جميع هذه الآيات التى أوردناها من الكتاب المقدس نرى أن اعلانات هذا السر التى كانت اولا مبهمة أخذت تنجلى رويداً رويداً حتى اتضح اكمل ايضاح فى الانجيل وصار ايمان جميع المؤمنين واعترافهم فى كل حين وفى مقدمة صلواتهم وأعمالهم يرسمون على وجوههم علامة الصليب وهم يقولون باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد امين

على المسلمين أن يسلموا بتثليث النصارى

ان المسلمين ملزمون أن يتبعوا محمداً ويتمثلوا به . فقد جاء في حديث البخاري أن محمداً كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لا يؤمر فيه بشيء (البخاري جزء ٢ ص ١٧٩ و ٢٤٤ وجزء ٤ ص ٢٨)

وقول القرآن فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (الأنبياء)

والقرآن صمت كل الصمت عن الكلام عن حقيقة الروح أو ماهيته أو ما هو عمله في الانسان حتى أن مفسري القرآن تخبطوا كل التخبط في تفسير وفهم حقيقة الروح حتى ناقضوا أنفسهم بانفسهم وقالوا الشيء وضده وتركوا الناس من ورائهم حيارى لا يدرون ما هو الروح مع العلم أن الروح مبعث الحياة

وبما أن التثليث يعلمنا بكل جلاء ووضوح عن روح الله القدوس وعمله فينا نحن البشر كما مر بك أيها القارىء من آيات الكتاب المقدس الخاصة بالتعليم عن الثالوث

وبما ان تعليم التثليث هو وحي الله في الكتاب المقدس الذي هو نور وهدى للناس

وبما اننا سبق فاثبتنا في الكتاب الثاني صحة التوراة والانجيل وسلامتهما من التحريف والتبديل وعدم نسخهما وابطال حكمهما ولم يستطع احد ان يرد علينا أو يهدم براهيننا وأدلتنا وجب اذن على المسلمين أن يسلموا بعقيدة التثليث والتوحيد لانها عقيدة في ذات الله أعلنها بذاته تعالى في التوراة والانجيل

صمت القرآن عن ماهية الروح

ونكتفى للتدليل عن صمت القرآن عن ماهية الروح بأن نورد هنا الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر الروح كما نورد تفاسير ائمة المسلمين لهذه الآيات لتعلم أيها المسلم كيف صمت القرآن كل الصمت عن حقيقة الروح وعمل فى الانسان كما تعلم كيف ان مفسرى القرآن قد تخبطوا وناقضوا أنفسهم (١) (سورة الاسراء «ويسألونك عن الروح قل الروح امر ربى . وما اوتيتم من العلم إلا قليلا »

وفسرها البيضاوى بقوله : ويسألونك عن الروح الذى يحيا به بدن الانسان ... وقيل الروح جبريل. وقيل خلق اعظم من الملك. وقيل القرآن ومن أمر ربى معناه من وحيه

ووافقه على هذا التفسير الجلالين (بيضاوى مجلد ١ ص ٣٨١ وهامش الكشاف مجلد١ ص٥٢١)

وفسرها الكشاف بقوله : الاكثر على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من الله اى مما استأثره بعلمه . وعن ابن ابى بريدة : لقد مضى (مات) النبى صلعم وما يعلم الروح . وقيل هو خلق عظيم روحانى اعظم من الملك . وقيل القرآن (كشاف مجلد١ ص ٥٢١)

والفخر الرازى فسرها : المراد منه الروح الذى هو سبب الحياة (مجلد ٥ ص ٤٤٦)

(٢) (سورة القدر) « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم»

قال البيضاوى فى تفسير هذه الآية وتنزل الملائكة والروح إما الى الأرض وإما الى السماء الدنيا وإما تقربهم الى المؤمنين

وقال الجلالين : الروح هو جبريل (بيضاوى وجلالين مجلد٢ ص٣٧٨)

والكشاف يقول : الروح جبريل وقيل خلق من الملائكة (مجلد ٢ ص ٥٥٥)

والطبري يقول : معنى ذلك تنزل الملائكة وجبريل معهم وهو الروح (مجلد ٣٠ ص١٤٤)

(٣) (النساء) « يقوم الروح والملائكة صفاً ».

قال في تفسيرها البيضاوي : والروح ملك موكل على الأرواح وجنسها أو جبريل أو جند

والكشاف يقول والروح أعظم خلقاً من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين . وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقاً أعظم منه . وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل (بيضاوي مجلد ٢ ص ٣٥٥)

والنيسابوري : الروح هو أعظم المخلوقات قدراً . وأن يكون المراد انهم صف من الروح وحده ومن الملائكة بأسرهم صف الخ (جزء ٣٠ ص ١٢ بهامش الطبري)

والطبري يقول : « هو ملك من الملائكة خلقاً » روى عن ابن مسعود انه قال : الروح ملك في السماء الرابعة هو أعظم من في السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح الله كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً من الملائكة يجيء صفاً واحدة . وانه جبريل . وقيل هو خلق من خلق الله في صورة بني آدم وليسوا بالناس . وقيل الروح هم بنو آدم (الطبري جزء ٣٠ ص ١٣ و ١٤)

(٤) (المعارج) « تعرج الملائكة والروح اليه »

البيضاوي والجلالين يقولان هو جبريل (مجلد ٢ ص ٣٣٦)

والكشاف يقول والروح جبريل عليه السلام افرده لفضله المتميز به وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس (مجلد ٢ ص ٤٨٨)

النيسابوري يقول : قيل ان الروح أعظم الملائكة قدراً وهو أول في درجة نزول الأنوار من جلال الله ومنه تتشعب الى ارواح سائر الملائكة والبشر في آخر درجات منازل الأرواح وبين الطرفين معارج مراتب أرواح الملائكة ومدارج منازل الأبرار القدسية ولا يعلم تفصيلها الا الله (على هامش الطبري جزء ٢٢ ص ٤٢)

(٥) (النحل) «قل نزله الروح القدس من ربك بالحق »

قال البيضاوي والكشاف : الروح القدس عليه السلام اضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود (بيضاوي جزء ١ ص ٣٩٤ وكشاف مجلد ١ ص ٥٣٧)

(٦) (الحجر) فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ويقول الجلالين ونفخت فيه من روحي اى اجريت فيه من روحي واضافة الروح اليه تشريفاً لآدم (بيضاوي وجلالين مجلد ١ ص ٣٧٦)

(٧) (النحل) «ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده»

البيضاوي : بالروح اى بالوحي او القرآن (جزء ١ ص ٣٨١)

(٨) (المجادلة) « اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه »

قال البيضاوي وهو نور القلب او الايمان او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب . والجلالين : بروح اى بنور منه (البيضاوي والجلالين مجلد ٢ ص ٣١٠)

والكشاف يقول بروح منه بلطف من عنده (مجلد ٢ ص ٤٤٤)

(٩) (البقرة) وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس فسرها البيضاوي بقوله : الروح القدس هو الروح المقدسة . . . وأراد به جبريل . وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته من الشيطان . أو لكرامته على الله سبحانه وتعالى ولذلك اضافها الى نفسه تعالى . أو لأنه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث »

وقال الجلالين : بروح القدس — من اضافة الموصوف الى الصفة اى الروح المقدسة جبريل لطهارته وكان يسير معه حيث سار
(بيضاوى وجلالين جزء ١ ص ٥١)
وقال الكشاف : بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال « روح منه » فوصفه بالاختصاص . والتقريب والكرامة وقيل لأنه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث . وقيل بجبريل . وقيل بالانجيل كما قال فى القرآن وروحاً من أمرنا . وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره (كشاف جزء ١ ص ٦٥)
(١٠) (النساء) وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه
فسرها البيضاوى : وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحاً لأنه كان يحيى الاموات والقلوب
والجلالين : أى ذو روح اضيف اليه تعالى تشريفاً له (البيضاوى جزء ١ ص ١٨٢)
وقال الكشاف : وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذى روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحى وانما اخترع اختراعاً من عند الله وقدرته خالصة (كشاف جزء ١ ص ٢٤١)
(١١) (المائدة) وعلى والدتك إذ ايدتك بروح القدس
قال البيضاوى : بجبريل عليه الصلاة والسلام او بالكلام الذى يحيا به الدين او النفس حياة ابدية ويطهر من الآثام
والجلالين يقول : جبريل (بيضاوى وجلالين جزء ١ ص ٢١٠)
والكشاف : بالكلام الذى يحيا به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام (كشاف جزء ١ ص ٢٨١)
(١٢) (سورة مريم) فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا
قال البيضاوى : جبريل
الجلالين : جبريل
الكشاف : الروح جبريل لان الدين يحيا به وبوحيه او سماه الله

روحه على المجاز محبة له وتقريباً كما تقول لحبيبك أنت روحى الخ
(كشاف مجلد ٢ ص ٤)

(١٣) (سورة الانبياء) : والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا
قال البيضاوى : من الروح الذى بأمرنا وحده أو من جهة روحنا
يعنى جبريل

والجلالين يقول : أى جبريل حيث نفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى
(جزء ٢ ص ٥٤)

وقال الكشاف : ظاهر الاشكال انه لا يدل على احياء مريم (قلت)
معناه نفخنا الروح فى عيسى فيها أى احييناه فى جوفها .. ويجوز ان يراد
وجعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبريل لانه نفخ فى جيب درعها
فوصل النفخ الى جوفها (كشاف مجلد ٢ ص ٥٢)

أرأيت ايها الاخ المسلم كيف ان القرآن لم يتكلم عن الروح القدس
الذى هو الاقنوم الثالث فى جوهر الله الواحد ولا بين ماهو الروح الذى
ذكره فى هذه الآيات العديدة ولا يمكن لأى انسان عند ما يقرأ الآيات
الواردة فيها ذكر الروح فى القرآن أن يفهم منها ماهو هذا الروح بل يرى
تخبط المفسرين الذين لم تجمع آراؤهم على معنى لهذا الروح ولا رأى المفسر
الشخصى استقر على معنى للروح

وها أنا استعرض لك ماجاء فى تفاسيرهم التى رصدتها لك هنا عن الروح

(١) الروح جبريل
(٢) أو خلق من الملائكة
(٣) ملك موكل على الارواح
(٤) أعظم خلقاً من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين
(٥) ملك فى السماء الرابعة وهو اعظم من فى السموات ومن الجبال
ومن الملائكة يسبح الله كل يوم ١٢ الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة
ملكا من الملائكة يجىء صفاً واحدة

(٦) الروح خلق على صورة بنى آدم يأكلون ويشربون

(٧) الروح بنو آدم

(٨) الروح اعظم من الملائكة وهو اول فى درجة نزول الانوار من جلال الله ومنه تتشعب الى ارواح سائر الملائكة والبشر وفى آخر درجات منازل الارواح وبين الطرفين

(٩) انه خلق عجيب وان له شأناً له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولا يعلم كنهه الا الله

(١٠) هو الوحى أو القرآن

(١١) هو نور القلب

(١٢) هو النصر على العدو

(١٣) روح من الايمان

(١٤) قال احمد بن حنبل ان القول بان الروح مخلوق بدعة والقول بانه قديم كفر

(١٥) هو روح عيسى

(١٦) هو الانجيل

(١٧) هو اسم الله الاعظم

(١٨) هو أمر الله

(١٩) الحفظة على الملائكة

فكيف تقولون انكم تعرفون الله وتؤمنون به وترتضون بحالة هى من خطر الحالات من جهة الايمان بالله إذ لا تعرفون ان كان الله روحاً فى ذاته أم ذات مجردة عن الروح والحياة ؟!

وهو ذا انتم ترون من آيات القرآن واقوال المفسرين ما يدل على ان الروح مخلوق فى مقام يفوق الملائكة ويختلف عنهم وليس فى هذه الآيات ولا اقوال المفسرين اقل تلميح او رأى فى ماهية الروح وهل هو معاصر لله او مشارك له فى الازلية

وهو ذا مفسرو القرآن قد احاطوا الروح بالغموض والابهام اذ جعلوا الروح احد الملائكة مرجحين ان يكون جبريل ثم نراهم من جهة اخرى يعترفون ويشعرون ان هذا التفسير ليس جازماً ولا يطابق الواقع فينقلبون قائلين ان الروح يمتاز عن الملائكة وانه من جنس آخر ارقى واقدم واقرب الى العزة الالهية وانه الحافظ على الملائكة وله كيان حقيق

ولدى تأملك ايها المسلم فى الآيات القرآنية وحيرة المفسرين وتضارب آرائهم الكثيرة يتضح لك : —

(١) ان الروح ليس هو جبريل ولا ملاك آخر لانه يقول ونفخنا فيه من روحنا وهذا فيه من الدلالة على الالوهية اذ يدل على ان الروح هذا غير محدود وله قوة الانتشار فى اشخاص لاعدد لهم ومنه تتشعب انوار جلال الله الى ارواح سائر الملائكة والبشر وفى آخر درجات منازل الارواح وبين الطرفين من غير ان يعتريه اقل نقص او فقدان شىء من ذاتيته : ويقول عنه احمد بن حنبل ان القول بان الروح مخلوق بدعة الامر الذى لا يمكن ان يكون الروح جبريل والا كان جبريل إلهاً آخر لانه غير محدود وغير مخلوق بل وخالق مع الله لانه الواسطة الذى نفخ به الله فى آدم وعيسى والبشر عند ماخلقهم كما رأيتم فى اقوال المفسرين ونحن وانتم نقول انه تعالى تفرد بالخلق ولا شريك له

إذاً لا يمكن ان يكون الروح القدس سوى قوة الله الذاتية المشارك له فى الابدية والحضور فى كل مكان والذى قال عنه محمد بانه سر خفى لم يعط لنا ادراك كنهه

(٢) ولا يمكن ان يكون الروح هو القرآن لان القرآن لم يكن معروفا ولا كانت له اقل علاقة بشؤون البشر قبل مجىء محمد لان الروح كان قبل القرآن اذ به نفخ الله فى آدم وفى العذراء مريم

والروح لم يعرفه محمد حتى مات كما رأيت فى اقوال المفسرين اما القرآن فكان محمد يعرفه جيداً

(٣) ولا يمكن ان يكون الروح مجرد سلطة لاشخصية لها ولا حياة فيها ولا يمكن ان يكون اداة نشاط الله بل كما رأيت اقوال المفسرين التى اوردناها ان الروح هو الحافظ على الملائكة واشرف المخلوقات والذى منه تنتشر وتتشعب انوار الجلال الالهى الى ارواح سائر الملائكة والبشر وانه صاحب الرئاسة والزعامة على جميع الكائنات الروحية المقيمة فى الحضرة الالهية فمن غير المعقول ان الذى يشرف ويدبر ويتسلط على جميع المخلوقات، عامة ذات الارادة الحرة ان يكون سلطة جامدة بلا حياة

فاذا كان المفسرون اجمعوا على ان الروح القدس منقطع النظير وفوقه جميع المخلوقات الاخرى ومتصل بالله على وجه خفى غريب وانه غير مخلوق

فلماذا احجم المفسرون عن الاعتراف بازليته؟هل يخافون ان يعتبروه إلهاً

ولكن كيف يتخلصون من الورطة بعد ان اعترفوا له بالسلطة السامية والحضور فى كل مكان والحلول فى البشر والصدور عن الله وانه غير مخلوق ومن يتجاسر على القول انه مخلوق يعتبر مبتدعاً

ما هذه الحيرة وما هذا الاضطراب ؟

يقولون انه غير مخلوق ولكنهم لا يقولون انه قديم لئلا يعترفوا مع النصارى بانه هو الله وبالتالى يعترفون مع النصارى بحقيقة الاقانيم الثلاثة فى ذات الله الواحد ولذلك حاولوا وتلونوا فى تفسير الروح بتسعة عشر معنى وتركوا الناس وراءهم حيارى لا يدرون ماهو الروح ان كان إلهاً لان الائمة يقولون انه غير مخلوق أو ليس باله لانه غير قديم

فالراحة للضمائر والعقول والقلوب والخلاص من الحيرة والاضطراب والارتباك ان يوافقنا المسلمون ويؤمنون معنا بعقيدة التثليث والتوحيد واذا فعلوا هذا يكونوا قد اقتفوا آثار محمد الذى كان يميل الى موافقة اهل الكتاب فى مالم يؤمر فيه بشىء . وفى نفس الوقت يتخلصون من المشاكل التى تنشأ عن التوحيد المطلق

معضلات التوحيد المطلق

تعالى المسلمون فى عقيدة التنزيه المطلق حتى رفضوا كل نسبة أو علاقة لله تعالى مع مخلوقاته وذلك تنزيهاً لله عن التقييد والنقص والعجز وعدم الكفاءة ، وعدم القيام بذاته أو حاجته الى سواه . وكان رفضهم لعقيدتى التثليث والتوحيد مبنياً على هذا التنزيه المطلق المغالى فيه

فما لبثوا ان وجدوا أنفسهم أمام مشاكل ومعضلات أخرى مضاف اليها ماهربوا منه فكانوا كمن يطوفون حول الارض وفى النهاية بعد الجهد والتعب يرون أنفسهم فى النقطة التى هربوا منها . ولا يزال علماء الاسلام واقفين عند حد السؤال والحيرة والارتباك للتوفيق بين ما يعتقدون فى أمور دينهم وبين عقيدة التنزيه المطلق وتجد لهم تعليلات لا يرضى بها منهم أصحاب عقلية القرن العشرين

وها بعض من هذه المشاكل والمعضلات التى نشأت عن مغالاتهم فى التنزيه المطلق وعدم قبولهم عقيدة التثليث والتوحيد

أولا — كيف يكون الله منزهاً عما سواه وغنياً عن جميع الكائنات ، وقائما بذاته ، ومكتفياً بنفسه ، ومنزهاً عن الحوادث والزمان والمكان ثم ينتقل من حيز الغنى عما سواه إلى حيز القيام بعملية الخلق فيصير خالقاً وتجوز عليه الصيرورة وهذا يتنافى مع التنزيه

ثانياً — إن قدرة الله كانت قبل الخلق ، قدرة امكانية فقط ولم تدخل فى دور الفعل إلا بعد ان خلق الكائنات وعندها ظهرت قدرته عاملة وكأن عمل الخلق كان ضروريا لاخراج قدرة الله من حيز الامكان إلى حيز الفعل وهذا يتنافى مع التنزيه المطلق

ثالثاً — ان خلق الله للكائنات هو بدء علاقة أو نسبة بين الخالق

ومخلوقاته ، وبدء العلاقة هو بدء حياة جديدة بين الخالق وخلائقه وهذا أيضاً يتنافى مع التنزيه المطلق

رابعاً — ان كل علاقة بين كائنين يكون لها أثرها الفعال المتبادل بينهما بكيفية ما ، فالكلام بين اثنين يقتضي ان يسمع الواحد منهما صوت الآخر . والله السميع يسمع لمخلوقاته فيكون بهذا قد خرج من حيز الفعل ودخل إلى حيز الانفعال وهذا يتنافى مع التنزيه المطلق

خامساً — تقوم فلسفة الدين الاسلامي على سبع صفات الله الجوهرية وهي:

(١) الوحدة (٢) المعرفة (٣) الارادة (٤) القدرة (٥) انه يسمع (٦) وينظر (٧) ويتكلم

وهناك تسعة وتسعون اسماً وردت في القرآن تدعى أسماء الله الحسنى وكلها صفات متفرعة من الصفات السبع الرئيسية مثل قوله :

السلام — المؤمن — العزيز — العليم — السميع — البصير — العدل — الشكور — الحسيب — المجيب — الودود — الحميد — الجامع — المحب

فاذا تقولون عن هذه الصفات الالهية هل هي صفات قديمة يتصف بها الله أم هي حادثة عليه ؟

فان قلتم حادثة لطقتم الكفر لأن من تطرأ عليه الصفات وتحدث فهو حادث والحادث ليس بأزلي والغير أزلي ليس بأبدي وهذا لا يتفق مع التنزيه الالهي

وإن قلتم هي صفات قديمة بقدمه تعالى قلنا لكم بصفتكم موحدين توحيداً مطلقاً ولا تعتقدون بتعدد الأقانيم

فمع من كان يتكلم قبل ان يخلق الملائكة والبشر ؟ ولمن كان ينظر ؟ ولمن كان يسمع ؟ ومع من كان في سلام ؟ ولمن كان يؤمن ويصدق وهو المؤمن ؟ ولمن كان عزيزاً وهو العزيز ؟ وبمن كان يعلم ويبصر وهو العليم البصير ؟ وبين من كان يعدل وهو العادل ؟ ولمن كان شكوراً وهو

الشكور ؟ ولمن كان يتودد وهو الودود ؟ ولمن كان مجيباً وهو المجيب ؟ ولمن كان جامعاً وهو الجامع ؟ ومن كان يحب وهو المحب ؟

فان قلتم انه لم يكن يتكلم ولا يسمع ولا ينظر ولا يتودد ولا يحب ولا يعدل قبل خلق المخلوقات ، تنسبون لله العطل والعجز عن العمل بصفاته وانه كان بحاجة الى غيره من المخلوقات لتوقف ظهور صفاته عليها وانه قابل لطروء الحوادث وتغيير الاحوال لأنه انتقل يوماً من حال عطل صفاته الى حال العمل بها وبالتالى تصورون الله « ماكينة » عاطلة وقد علاها الصدأ حتى جاءت الملائكة والبشر فأداروا هذه « الماكينة » وحركوها وكانوا سبباً فى اشتغالها وصارت عاملة بعد عطل

وإن قلتم انه كان تعالى يتكلم ويسمع ويبصر ويتودد ويحب ويجمع ويعدل قبل ان يخلق الملائكة والبشر

قلنا لكم مع من كان يتكلم ويسمع ويتودد ويحب ويعدل ؟ هل مع إله آخر نظيره ؟ اذ قلتم ذلك وقعتم فى الشرك عينه الذى تتهمون به غيركم

هذه عقيدة التنزيه التى تغاليتم فيها ورفضتم معها عقيدة التثليث كيف أوصلتكم الى عكس ماقصدتم اذ نفيتم عن الله كل تنزيه وأثبتم له الحاجة الى الغير والصيرورة والتحول من حال إلى حال ، وعدم الثبات وحدوث الحوادث وطروئها عليه ، ونسبتم له التقيد والتأثير والانفعال ونفيتم عنه الازلية والابدية وبالاختصار فانكم صفيتم حساب الاله فلم يبق فيه الا الاربعة حروف اسم الله فقط وان كان قد بقى لكم ماتفاخرون به على أصحاب عقيدة التثليث فيكون ذلك انكم أتيتم بما لم يأت به الاوائل لأن النحاة يقولون ان الاسم مادل على معنى أما أنتم فبتنزيهكم وتوحيدكم المطلق جعلتم الله بلا معنى وحديث خرافة وبذا تكون قد عادت ريمة لعادتها القديمة حيث الوثنية فى زمن الجاهلية وان كان هناك امتياز عن الوثنية القديمة فيكون هذا الامتياز محصوراً فى كونكم تثبتون وجود الله وتنفون وجود الله فى نفس واحد

هذا ما يجره حتما التنزيه المطلق والتوحيد المطلق

عقيدة التثليث تحل معضلات التوحيد

ان عقيدة الثالوث الالهي التي تقول ان الله واحد في الجوهر مثلث الاقانيم اب وابن وروح قدس تتفق مع قول الكتاب المقدس : « الله محبة » والمحبة هي مجموعة الصفات ومصدر كل عمل والمحبة لا يمكن تصور معناها إلا اذا كان هناك تعدد في الاقانيم الالهية فالود والتودد يكون بين اثنين واد وودود ولا ود ولا حب أشد من حب أب وابنه. والحب جاذب ومجذوب وقوة جاذبة تصدر عن الواحد الى الآخر وليس هناك ما يمثل هذا الحب اكثر من أب وابنه وروح هو الجاذبية المتبادلة ولذلك نقول في تعبيراتنا روح المحبة

واذا كانت المحبة هي جوهر الذات الالهية وهذه المحبة كانت عاملة بين الاب والابن والروح القدس منذ الأزل كان الخلق نتيجة هذه المحبة التي كانت ترغب في وجود خلائق ينعمون بسعادة الوجود على صورة وجود المحبة الالهية السعيدة

وعليه يكون الاعتقاد بالله مثلث الاقانيم اب وابن وروح قدس ليس له تعلقات جديدة لأن علاقة الاقانيم منذ الأزل وليس خلق العالم ذا علاقات حادثة سوى امتداد لحرارة الحب الالهي الكائن بين الاقانيم الالهية التي تنعم بسعادة الحب

فالانتسابات والعلاقات والقيود موجودة في ذات الجوهر الالهي بين الاقانيم الثلاثة فليس في خلق الكائنات علاقات وتأثيرات جديدة بل هي العلاقات والنسبة القديمة الكائنة بين الاب والابن والروح القدس امتدت حرارتها من المركز الأبدي

وهوذا الشمس وهي احدى مخلوقات الله ومحدودة بالنسبة لعدم محدودية الله تعطينا مثلا عن امتداد عمل حرارتها الدائمة الاشتعال في

ذاتها فهى تمتد الى الأرض فينتفع بها الانسان والحيوان والزرع والجماد وتستخدم حرارتها فى جهازات كثيرة للتسخين فهل اذا زرعت مساحات اكثر مما يزرع الان على سطح الأرض فهل تشعر الشمس بأن علاقات جديدة حدثت لها أو أن هناك قيوداً جديدة وضعت عليها أو أن نقصاً ألم بها من جراء هذا الامتداد العظيم الذى صار لحرارتها كلا لأن حرارتها فى جوهرها عاملة قديماً فكل مستحدث فى استخدام حرارتها لا يؤثر فيها بشيء ولا يقدر أحد ان يقول ان هذا الامتداد قد قيدها أو أعجزها او أوقعها تحت التأثير.

فكم بالحرى السرمدى الغير المحدود والقوة الغير المتناهية إذا امتد عمل محبته الكائن المركز فى ثالوث أقانيمه

وهل الأوقيانوسات اذا امتدت مياهها الى مجارى رواد غمرها ماء البحار هل يقال أن الاوقيانوسات قد تقيدت أو تأثرت أو صارت لها علاقات جديدة تجعلها تشعر بالعجز أو النقص ام هو امتداد لعمل الاوقيانوسات دون أن تقع تحت تأثير علاقات جديدة

فاذا كان المحدود بامتداد عمله لا يقع تحت القيد والعجز والنقص فكم بالحرى إله الاوقيانوسات وخالقها اذا ما امتد عمل محبته الدائم المركز فى أقانيمه الى خليقته وخلائق فانها لا تؤثر على حريته ونزاهته وقوته ولا يقال انه غير منزه عن الحوادث

أرأيت أيها الأخ المسلم كيف أن عقيدة التثليث قد حلت مشكلة الخلق ووفقت بين عقيدة التنزيه وبين عمل الله فى الخلق الذى ترآى لكم منه انه مناقض للتنزيه وأوقفكم موقف الحيرة والارتباك وكان سبباً فى تضارب فى الأفكار وأوصل الكثيرين منكم إلى القول بان الله هو الحقيقة الوحيدة الكائنة وكل ما سواه وهم واوصلهم هـذا إلى مذهب وحدة الكون وصارت فلسفتهم أشبه بفلسفة الهنود الذين يعتبرون كل ما فى العالم ما خلا الله سراباً زائلا

اسمع أيها الأخ المسلم ان جميع الصفات التى تنسبونها الى الله لا يستقيم معناها ولا تقوم فى العقل له صورة الا مع قصور تعـدد الاقانيم فى ذات الله الواحدة فصورة العدل تقوم بتصور قاض وامامــه اثنان يتقاضيان فيسمع لكليهما وبعدئذ يصدر حكمه . أو ماسك ميزان وبالميزان كفتان لا ترجح احداهما الأخرى هـذه هى صـورة العدل التى لا بد لتصورها من تصور ثلاث

ونحن نقول ان فلاناً معتدل وكلمة معتدل هى من عدل واعتدال الشخص فى ذاته معناه ان جميع صفـاته لا تزيد واحـدة منها أو تنقص فتصور ثلاثة أقانيم اب وابن وروح قدس يجعل صفة العدالة معمولا بها منذ القـديم ولم تكن تنتظر خلق الملائكة والبشر لتظهر العدالة فى هذه المخلوقات انما عدالة الله قديمة بقدمه عاملة فى ذاته بين اقانيمه اذ يحتفظ كل اقنوم بامتيازه دون تعد من اقنوم على الآخر

وصفة الود واسم الودود يستقيم معناه ويتصوره العقل فى الله المثلث الأقانيم ولا ود اقوى مما بين ود الآب لابنه ولذلك نرى فى تعليم التثليث ما يحل معضلة صفة الود فى الله اذ كانت قديمة أو حادثة فالتثليث يقول لنا أن عمل صفة الود فى الله كان عاملا منـذ القدم بين الله الآب والله الابن وروح القدس .

وعلى هـذا القياس نقول عن اسم الله الجامع أن عمله كجامع لم يكن حادثاً بعد خلق المخلوقات بل كان جامعاً منذ القديم لانه تعالى جمع فى ذاته اذ هو اب وابن وروح قدس

وكذلك صفة السلام فان السلام الذى يبدو على واحد منفرد منعزل فهو ليس بسلام ولا مسالمة الا اذا عاش مع جماعة واحتفظ معهم بالسلام فحينئذ نعلم انه رجل سلام وكذلك معنى السلام الموصوف به الله والذى هو أحد اسمائه الحسنى لا يفهم معناه الا مع تعـدد الأقانيم اب وابن وروح قدس فالسلام الالهى الذى بين الاب والابن والروح القـدس هو

الذى يجعل صفة السـلام لم تكن عاطلة بل كانت عاملة بين الاب والابن والروح القدس .

ما القصد بتعليم التثليث ؟

لقد سئل الشيخ الصفى اسحق بن العسال وقيل له اذا كان اعتقادكم فى البارى انه واحد فما الذى يحملكم على ان تسموه ثلاثة اقانيم وان تسموا بعضها اباً وبعضها ابناً وبعضها روحاً فيتوهم السامع انكم تعتقدون ثلاثة آلهة ، وان الله ثلاثة اشخاص او ثلاثة أجزاء ، او يظن من لا يعرف اعتقادكم انكم تقولون ان له ابناً وانكم تريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل فتطرقون على انفسكم تهمة انتم بريئون منها

فأجاب قائلا : وانتم لما كان اعتقادكم ان الله تعالى غير ذى جسم وغير ذى جوارح وأعضاء وغير محصور فى مكان ، فما الذى حملكم على ان تقولوا ان له عيناً يبصر بها ويدين يبسطهما وساقين يكشفهما ووجهاً يوليه الى كل الجهات وانه يأتى فى ظل من الغمام فيظن من لا يعرف اعتقادكم انكم تجسمون البارى ويتهمكم السامع بما انتم بريئون منه ؟

فان قلتم حملا على ذلك انه تضمنه كتابنـا العزيز والمراد به غير ظاهر اللفظ وكل من يحمله على ظاهره فهو كافر

قلنا وكذلك العلة فى قولنا ان الله ثلاثة أقانيم هى : ان الانجيل المقدس نطق بذلك وكل من يعتقد من النصارى ان الاقانيم المذكورة ثلاثة آلهة مختلفة او متفقة او ثلاثة اجزاء مبعضة او ثلاثة اشخاص متفرقة اوثلاثة قوى مركبة او غير ذلك مما يقتضى التشبيه والتجزىء والتبعيض وغير ذلك . او من اعتقد منهم ان الابن الـكلمة المتحد بالانسان له بنوة من تناسل وجماع او اولاد او من زوجة أو من بعض الاجسام او من بعض الملائكة او من بعض المخلوقين فهو كافر . انتهى رد ابن العسال

فالقصد بتعليم التثليث ليس قصداً بشرياً انما هو قصد الله تعالى أعلنه لنا فى الكتاب المقدس كما مر بك ايها القارىء العزيز

ومعلوم ان قصد الله تعالى فى كل اعلاناته التى اعلنها للبشر فى كتبه الموحى بها هو ان يربيهم فى التقوى ويقودهم الى خلاص نفوسهم

فهو تعالى لم يظهر لهم ذاته وصفاته لمجرد العلم بها بل لكى يعرفوه المعرفة التى تجعلهم يتشبهون به فى قداسته وكماله ورحمته ومحبته، لان الغرض من الدين والتعبد هو تشبه العابدين بمعبودهم وهذا نجده واضحاً فى جميع الامم والشعوب الذين تعبدوا لآلهة متعددة ومتنوعة كيف كانوا يجتهدون فى ارضاء معبوداتهم بالتشبه بها فى الاخلاق والصفات التى كانوا يتخيلونها فى آلهتهم فالذين كانوا يعبدون إله الحرب كانوا يرضونه بكثرة القتل وسفك الدم والذين يعبدون باكوس اله الخمر كانوا يرضونه بالاكثار من شربها والذين يعبدون الزهراء كانوا يرضونها بتخصيص أنفسهم للدعارة

لذلك اقتضت حكمة الله أن يعلن لنا عن تثليثه لنتشبه به فيما ينقذنا من ورطة الشر

فالتثليث ليس تعليما عقلياً فقط ولا أن الايمان به واجب لمجرد كونه معلناً من الله بغض النظر عن فائدته لانه لو كان تعليما عقلياً فقط لما بقى الى هذا اليوم فى اعتقاد الكنيسة المسيحية على ما هو عليه نظراً الى عمقه وغرابته فى جميع التعاليم البشرية ، لولا ان له أثره القوى الفعال فى قلوب جميع المسيحيين بالحق حتى انهم يفرحون به فرحاً لا يوصف ولا ينفك ذكره واشارته عنهم طيلة اليوم وفى كل حركة من حركاتهم وفى كل بدء لاعمالهم وفى كل صلواتهم وعند مباغتاتهم وخوفهم وعند كل ما لا يعجبهم أو يسرهم يرسمون على وجوههم علامة الصليب ويقولون باسم الآب والابن والروح القدس

والحقيقة ان الاعتقاد بالتثليث له مقاصده السامية وفوائده العجيبة

أولا - يرفع شأن اللاهوت ويوضح كمالاته فالتوحيد المطلق دون

تثليث الأقانيم يحصر اللاهوت ويجعله فى غاية الانفراد خالياً من كل موضوع المحبة او من امكان المباشرة او من خواص السعادة التامة. فالواحد لا يقدر أن يحب غير نفسه، وليس فى محبة الواحد لنفسه لوازم السعادة التامة. فنرى فى مشاورة الأقانيم واتحادها ومحبة احدها للآخر ما يحمل فى اللاهوت مقتضيات السعادة الأزلية وبدون هذا التمييز الأقنومى ليس لله سوى المخلوقات لتكون موضوع المحبة وعشراء اللاهوت وقد التزم منكرو التثليث أن يفرضوا الخلق فرضاً لازماً لكمال سعادة اللاهوت او ان الله لم يكن وحده منذ الأزل أو ان العالم أزلى على رأى مؤلهى الكون. وهذه الفروض أوقعتهم فى ما هو أعقد من عقيدة التثليث بل وأبعدتهم عن الايمان بالله لانهم بفرضهم الخلق لكمال سعادة اللاهوت خالفوا التنزيه الالهى الذى يقول ان الله غنى عما سواه اذ جعلوه فى حاجة الى المخلوقات لاتمام سعادته وقولهم ان الله لم يكن وحده منذ الأزل اشركوا معه الهاً آخر وهو الشرك عينه أو ان العالم أزلى على رأى مؤلهى الكون فهذا الشرك عينه اذ اعترفوا للمخلوق بالأزلية وانه معاصر لله.

أما كتابنا المقدس وتعليم الثالوث الوارد فيه فهو ينكر وجود كل شئ سوى الله منذ الأزل ويجعله كاملا فى ذاته شاملا كل لوازم السعادة التامة فى كونه غير المحدود

ثانياً ـ وسيلة اعلان الله نفسه للخليقة فكل من الاب والابن والروح القدس إله من جوهر واحد. فالابن يعرف الله كال المعرفة ولذلك يقدر أن يعلنه بكماله بناء على معرفته التامة به وكذلك الروح القدس من جوهر اللاهوت ولذلك يقدر أن يعلن الله لأرواح البشر. فبواسطة الأقانيم الثلاثة يقترب اللاهوت تمام الاقتراب الى المخلوقات المحدودة

ولولا هذا الاقتراب كان الله بعيداً عنا محجوباً عن ادراكنا منفصلا عن اختبارنا وما كان للدين المسيحى ما يميزه عن غيره من الأديان فى

وضوح اعلان اللاهوت وبيان الصفات الالهية لقلوب البشر

ثالثاً – وسيلة الى اتمام عمل الفداء

فالابن الاقنوم الثانى تجسد وظهر فى العالم وكفر عن خطايا الناس وشفع فى المذنبين ورتب كل وسائط التبرير والمصالحة بين الله والناس وتمم الخلاص . وهذا لا يمكن ان يقوم به من هو دونه لأن الله وحده هو الذى يقدر أن يصالحنا مع ذاته تعالى . وكذا يقال فى عمل الروح القدس الاقنوم الثالث فانه وحده القادر ان يجدد قلوبنا ويطهرها وينير عقولنا ويجذبنا الى الله ويقدسنا التقديس المطلوب للدخول الى حضرة الله والعيشة السموية الطاهرة

رابعاً – يجعل الله مثالا للحياة البشرية

وذلك فيا يتعلق بالمعاشرة الحبية والالفة الاهلية وذلك بمعاشرة الاقانيم الثلاثة معاً بالمحبة والالفة والاتحاد فترى حقيقة الابوة فى الاقنوم الاول وحقيقة البنوة فى الاقنوم الثانى وفى هذه النسبة الخطيرة المتبادلة ما يرفع شأن النسبة الأبوية والنسبة البنوية بين البشر ويقدرنا على التمثل بحياة اللاهوت ويميز جنسنا عن غيره من الخلائق تمييزاً سامياً

فلو جردنا اللاهوت من كل شعور المحبة للغير جعلناه قوة مجردة وسلبناه صفة الالفة الحبية الا فيا يتعلق بالمخلوق المنحط عن حياة اللاهوت ونكون قد أفرزناه عما هو أعلى خواص حياتنا اى محبة بعضنا لبعض

رد الاعتراضات على التثليث

الاعتراض الاول

يقولون ان نسبة البنوة الى الله مخلة بشرفه تعالى لأنها تدل على التوالد الجسدى الذى هو نتيجة اجتماع ذكر بأنثى وربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً (سورة الجن) كما ان التوالد الجسدى يقتضى التتابع الزمنى اذ يتقدم

الاب على الابن في الوجود وبالتالي لا يكون الابن أزلياً كالاب

الرد على هذا الاعتراض

كان للمسلمين ان يعترضوا بهذا الاعتراض لو ان النصارى قالوا ان ولادة الابن من الاب هي ولادة مادية جسدية اما وان النصارى يقولون عنها بنوة روحانية . لأن البنوة من طبيعة الابوة والله سبحانه وتعالى روح كما يقول السيد المسيح : « الله روح » (يو ٤ : ٢٤) وبنوته من طبيعته نفسها اذن لا خلاف بيننا وبين المسلمين في ان الله الاب لم يتخذ صاحبة ولم يلد منها ولداً ولادة مادية . بل ابن الله هو ابن روحاني وولد عقلي .

وان كلمة ابن في جميع اللغات البشرية استعملت لمعان مختلفة غير معنى التوالد الجسدي المادي فقد وردت في الكتاب المقدس :

(١) باعتبار نسبة الابن الى أبيه

(٢) وردت بمعنى السلالة كقوله « بني إسرائيل » أي النسل المتسلسل من اسرائيل اب الأسباط

(٣) الاشارة الى المسكن او الوطن كقولنا أبناء مصر ، وأبناء العرب وأبناء صهيون اى اهل او سكان مصر والعربية وصهيون

(٤) التلمذ كقوله أبناء الأنبياء اى تلاميذهم ومن هذا قول بولس الرسول عن تلميذه تيموثاوس : « الابن الصريح »

(٥) والى الملائكة كقول ايوب : انه جاء بنو الله ليمثلوا امام الرب (اى ١ : ٦)

(٦) والى عبدة الله كشعبه الخاص كما جاء في سفر التكوين قوله : ان ابناء الله رأوا بنات الناس انهن حسنات (تك ٦ : ٢) وقوله انتم اولاد للرب الهكم (تث ١٤ : ١) وقوله : وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله اى المؤمنين باسمه (يو ١ : ١٢) وقول بولس الرسول

لان كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم ابناء الله (رو ٨ : ١٤)

(٧) الاشارة الى صفة او نسبة اخرى كقوله «ابن سنة» (اى حولى) «وبنى بليعال» (اى الاشرار) «وابن الهلاك» (اى الذى يستحق الهلاك)

ونحن فى اصطلاحاتنا البشرية نقول «اولاد اليوم» ، «وبنات اليوم» «وابن البلد» «وابن نكتة» «وولد ابن يومين» «وابناء هذا الجيل» «وبنات افكارنا» وفلان قاعد يولد كلام وحديث

وقال الامام الزمخشرى فى مقدمة تفسيره للقرآن عن الشروط التى يجب ان تتوافر فى المفسر : «متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر»

ثم قال فى شرح معنى بنات الفكر وتلقيحها :
(بنات الفكر) اى المقدمات .
(وتلقيحها) ترتيبها على وجه يؤدى الى المطلوب

فهل تعتبر اهانة لشرف الوطن ان نسبنا اليه بنينا؟ وهل يخطر ببال المسلم عندما يسمع كلمة ابناء الوطن ان الوطن عرف امرأة اسمها «الوطنة» واخلف منها اولاداً ؟

وهل نتهم بولس الرسول عندما نسمعه يقول عن تيموثاوس «الابن الصريح» فنقول ان بولس عرف ام تيموثاوس ؟ وهل تخلى انا وانت وكل انسان عندما نقول لأى كان يا ابنى وهو ليس مولوداً منا ولادة جسدية ؟

وهل يخطر ببالنا ان السنة او اليوم او الجيل يحبل ويلد لاننا نقول «ابن سنة» «وابن يوم» «وابناء الجيل» ؟!

وهل نحتج على الامام الزمخشرى لانه قال : «بنات الفكر وتلقيحها» بانه اهان الفكر لانه جعل له بنات ونسب اليه ولادة جسدية ام نقول انها بنوية ادبية محضة وعلاقات روحية محضة بين كائنين ادبيين؟

أرأيتم كيف ان كلمة ابن ليست منحصرة فى معنى التوالد الجسدى بل اطلقت على معان كثيرة غير معنى التوالد الجسدى ؟!

ألا تعلمون ان بنوية الابن البشرى لأبيه البشرى ليست قائمة على ولادته من أبيه ولادة جسدية حيوانية فقط بل هى قائمة على نسبة واعتبارات ادبية محضة وعلاقات روحية كالمحبة والاكرام وتبادل العواطف ووحدة الطبيعة والصفات والارادة والتوافق

فالذى يجعل الفارق عظيما بين علاقة الابن البشرى وأبيه وبين علاقة المولود الحيوانى ووالده الحيوان هو ان بنوية الحيوان قائمة على الولادة الجسدية المادية المحضة اما بنوية الابن البشرى فهى قائمة على علاقات واعتبارات ونسبة روحية وادبية محضة لها المركز الاول فى معنى البنوة اما التوالد الجسدى فلا يشغل الا المركز الثانى وان شئت فقل المركز العاشر عا ان كلمة ابن اتسعت لعشرة معان واكثر

اما كون البنوة تقتضى التتابع الزمنى اى تقدم الاب على وجود الابن فقد انتفى بما قدمنا من القول بان ولادة الابن من الاب ليست ولادة جسدية بل ولادة روحية عقلية لان الله منزه عن التركيب والجسم، قائم بذاته وهو علة العلل ، قيوم غير مفتقر فى وجوده الى غيره. وعليه تكون ولادته غير معلولة بل كصدور النور من النار والشعاع من الشمس والنطق من العقل . والنور مستقر فى النار والشعاع مستقر فى الشمس والنطق مستقر فى العقل لا يفارق ابداً بل معاصر دائم .

الاعتراض الثانى

يقولون أن التمييز يناقض التطابق فى حد ذاته وكذلك التعدد يناقض الوحدة وينسب التركيب والتجزئة إلى جوهر الله

الرد على هذا الاعتراض

لو تأمل المعترضون في هذا الاعتراض قليلا لوجدوا أنهم بهذا الاعتراض يعكسون الحقائق لأن العقل والمنطق عند جميع الباحثين يقول أن التطابق لا يظهر ولا يفهم الا مع التميز وكذا الوحدة لا تفهم الا مع التعدد . وهل يقال أن هذا يطابق ذاك الا اذا كان هناك اثنان أو اكثر طابقوا بعضهم في فكر أو رأى أو عمل ؟ أو أشياء متعددة تطابق بعضها بعضاً في الوزن أو الحجم أو اللون : وإذا كان لا يوجد الا شخص واحد أو شيء واحد فلا يقال أن هـذا الشخص أو هذا الشيء يطابق ذاته بذاته والمطابقة لا تكون الا بين اثنين او اكثر وقد جاء في كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : « وأصل الطبق الشيء على مقدار الشيء مطبقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له ومنه يقال اطبقوا على الأمر بالألف اذا اجتمعوا عليه متوافقين غير مختلفين ... والسموات طباق أى كل سماء كالطبق للاخرى » اهـ . فالانطباق لا يتم ولا يفهم الا اذا انطبق واحد على الآخر كالسموات المتعددة المتميزة في انطباقها بعضها على بعض كل منها كغطاء للاخرى

وما نقوله عن التميز والتطابق نقوله عن الوحدة والتعدد ، فالوحدة لا يفهم معناها ولا تكون وحدة حقيقية الا اذا كانت تحتوى في ذاتها تعدداً فلا يقال عن الواحد انه متحد الا بوجود شخص او اشخاص غيره حتى يقوم معنى الاتحاد بينهم عندما يعيشون معاً بمحبة واتفاق في أهم الآراء والأفكار والمقاصد التي الفت بينهم ووحدت غايتهم وهنا يظهر جمال الوحدة ومعناها الحقيقي

بل أن الواحد لا يمكن أن يعرف كواحد او يقال عنه واحداً او يعد كواحد الا اذ كان واحد آخر او اكثر ليعدوه ويقولوا عنه ان هـذا واحد . فالتعدد هو الذى يظهر الواحد وتظهر فيه الوحدة ومعنى الاتحاد

ومع ذلك فان المسيحيين يعتقدون بأن ذات الله واحدة لا تعدد فيها ولا كثرة . وان ذاته الالهية قائمة بثلاثة أقانيم وهى كلمة الله وروحه ، أو الاب والابن والروح القدس وهو تعدد باعتبار الاقانيم وهذا التعدد لا يقدح فى الوحدة الحقيقية . قال صاحب كتاب اليواقيت (جزء ١ ص ٨١) ما نصه : قال سيدى على بن وفا اعلم أن الذات شيء واحد ولا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة وانما قالت المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصفات وذلك انما هو تعدد اعتبارى والاعتبارى لا يقدح فى الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لأصلها أو كالأصابع بالنظر الى الكف انتهى . وفى كتاب المواقف ص ٣٨٥ ما نصه . ولا يلتبس عليك أن الأشاعرة لما أثبتوا له صفات حقيقية لم يكن هو بسيطاً حقيقياً واحداً من جميع جهاته . جاء فى كليات أبى البقاء وقد يراد بالصورة الصفة ثم أورد الحديث فان أصل الصفات مشتركة والتفاوت فيها انما نشأ من الانتساب إلى الموصوف لما تقرر عند أئمة الكشف والتحقيق أن للصفات أحكاما فى الموصوف فان العلم والقدرة يصير بهما الموصوف عالماً وقادراً وكذلك للموصوفات أحكام فى الصفات فان العلم والقدرة بانتسابهما الى القديم يصيران قديمين وبالانتساب إلى الحادث يصيران حادثين

وان علماء المسلمين قالوا بعدم تقابل الوحدة والكثرة فى شىء واحد من جهة واحدة قال فى المواقف فى صحيفة ٣٤٢ ليس بين الوحدة والكثرة مقابلة قطعاً إذ لا يجوز اجتماعهما فى شيء واحد من جهة واحدة (فيجوز اجتماعهما فى شىء واحد باعتبارين) قال لكن مقابلة الوحدة والكثرة ليست ذاتية ثم أوضح أن الوحدة ليست ضداً للكثرة

، قال أهل السنة : صفات المولى وجودية بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها كما هو شأن الموجودات وقد اختلفوا فى هذه الصفات بأنها ليست بعين الذات ولا بغير الذات

فهوذا أهل السنة قد ذهبوا إلى أن الله تعالى واحد بالنظر إلى ذاته

متعدد بالنظر إلى صفاته . وهوذا الخلاف ناشب بينهم وبين المعتزلة والحكماء في الصفات المعنوية وهي كونه تعالى حياً وعليما ومريداً وقادراً وسميعاً وبصيراً ومتكلما

أوردنا هذا لكي يفهم الذين يعترضون على عقيدة التثليث بأن التثليث لا يتنافى مع العقل بل هو أسهل من اختلافاتهم في الصفات السبع الجوهرية التي يصفون بها الله

نقول نحن المسيحيين أن الله واحد بالنظر إلى ذاته وثلاثة بالنظر إلى أقانيمه التي هي كلمة الله وروحه وكلمة الله نعبر عنها تارة بابن الله أو ابن العلي أو كلمته الأزليـة أو حكمته وغير ذلك . واننا نقول جميعاً بذات واحدة إلهية لا تعدد في الذات وانما التعدد في الأقانيم فهذا القول ليس منافقاً للعقـل ولا يلزم عليـه اجتماع النقيض ولا ينسب لله التركيب ولم يقل أحد من المسيحيين أن الله مركب فهو منزه عن التركيـب وعن الجسم والعرض . والمسيح له المجد عبر عن تنزه الله عن التركيب وعن الجسم بقوله « الله روح » يعني انه روح غير محدود سرمدي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته وعدله وجودته ومعنى قوله ان الله روح «و انه ليس بجسم ولا مادة ولا يجوز أن ينسب اليه شيء من صفات المادة كالتحيز والتجزي، والتركيب

وإذاكان المسلمون أثبتوا لله صفة نفسية وهي الوجود وصفاتسلبية وهي القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالذات والوحدانية وأثبتوا له تعالى صفات معان وهي الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ثم أثبتوا له صفات معنوية وهو كونه تعالى حياً وعليما ومريداً وقادراً وسميعاً وبصيراً ومتكلما لا سيما وانهم قالوا أن هذه الصفات المعنوية لهـا وجود في نفسها بل قالوا أن هـذه الصفات تنكشف لنا إذا كشف الحجاب . والمعتزلة انكروها فراراً من تعدد القدماء وهذا الشعور يستلزم التركيب والمسلمون يعرفون أن كل صفة من هـذه الصفات تمتاز

عن الأخرى بامتياز حقيقى فهل نقول مع كل هذا أن ذات الله مركبة حاشا وكلا فذات الله هى فوق ادراكنا وعقولنا ؟ وهل قولهم أن الله عقل وعاقل ومعقول يستلزم التركيب فى ذاته ؟

فقد قال ابن سينا أن واجب الوجود عقل وعاقل ومعقول وانه يعقل ذاته والأشياء وصفاته الايجابية والسلبية لا توجب كثرة فى ذاته، قال العقل يقال على كل مجرد من المادة واذا كان مجرداً بذاته فهو عقل لذاته، وواجب الوجود مجرد بذاته عن المادة فهو عقل لذاته وبما يعتبر له أن هويته المجردة لذاته فهو معقول لذاته وبما يعتبر له أن ذاته له هوية مجردة فهو عاقل لذاته وكونه عاقلا ومعقولا لا يوجب أن يكون اثنين فى الذات ولا اثنين فى الاعتبار وقال ثم لما لم يكن جمال وبهاء فوق أن يكون الماهية عقلية صرفة وخيرية محضة بريئة من المواد وانحناء النقص واحدة من كل جهة ولم يسلم ذلك بكنهه إلا واجب الوجود فهو الجمال المحض وبهاء وملائم وخير فهو محبوب معشوق وكل ما كان الادراك أشد اكتناهاً والمدرك أجمل ذاتاً فحب القوة المدركة له وعشقه له والتذاذه به كان أشد واكثر فهو أفضل مدرك لأفضل مدرك وهو عاشق لذاته ومعشوق لذاته عشق من غيره أو لم يعشق وأنت تعلم أن ادراك العقل للمعقول اقوى من ادراك الحس للمحسوس لأن العقل انما يدرك الأمر الباقى ويتحد به ويصير هو هو ويدركه بكنهه لا بظاهره وكذلك الحس

ذهب الفلاسفة والشيعة إلى نفى الصفات الزائدة على الذات وقالوا أن صفاته هى عين ذاته بمعنى أن ذاته يسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالماً وبالمقدورات قادراً الخ فلا يلزم تكثير فى الذات ولا تعدد فى القدماء والواجبات . وقال الحكماء بانه لو كان له صفة زائدة على ذاته لكان هو فاعلا لها واثبات الصفات هو بمنزلة اثبات القدماء

فاجاب السعد وقال أن المحظور المبطل للتوحيد انما هو تعدد القدماء المتغايرة المنفكة بحيث تكون ذوات مستقلة وليست صفات مغايرة للذات

بهذا المعنى . وفى كليـات ابى البقاء (صحيفة ٤٠٢) ما نصه : قال بعض الأفاضل القول بتعدد الواجب لذاته فى الصفات فى غاية الصعوبة نعم لكن المراد بالواجب لذاته فى الصفات كونها واجبة الوجود لأجل موصوفها الذى هو الذات الواجب الوجود لا انها واجبة بالذات مقتضية لوجودها كالذات حتى تستقل وتتعدد بل هى مستندة الى الذات والذات كالمبدأ لها وفى صحيفة ٤٤٦ قال ان الله سبحانه وتعالى علم وعالم ومعلوم أيضاً ما تدعو له الأسماء الحسنى والتغاير اعتبارى وذلك أن العلم عبارة عن الحقيقة المجردة عن الغواشى الجسمانية فاذا كانت هـذه الحقيقة مجردة فهو علم وإذا كانت هذه الحقيقة المجردة له حاضرة لديه وغير مستورة عنه فهو عالم وإذا كانت هذه الحقيقة المجردة لا تحصل الا به فهو معلوم فالعبارات مختلفة وإلا فالكل بالنسبة إلى ذاته واحد انتهى

ومن هنا يتضح أن علماء المسلمين قد سلموا بتعدد القدماء مع وحدة الذات وبالتالى فقـد اجتمعت الوحـدة والكثرة باعتبارين . فلاهو سبحانه وتعالى ثلاثة بمعنى ما هو واحد أى ليس هو ثلاثة ذوات بل ذات واحدة . ولا هو واحد بمعنى ما هو ثلاثة اى ليس هو صفة واحدة بل ثلاث صفات شخصية . والقول بثلاث خواص ليس بمعنى ثلاثة آلهة لان عدد الخواص لا يستلزم عدد الذوات

بقولون ولماذا لا تسمون جميع الصفات الالهية باقانيم

نقول : ان اقتصارنا على الصفات الثلاث دون غيرها هو لأنها صفات جوهرية فاى صفة ذكرت غير الثلاث فانها تجر معها جوهراً آخر غير جوهر البارى تعالى ، مثل ما اذا قلنا قادر فقد جرت هـذه الصفة معها جوهراً آخر وهو المقدور عليه . وإذا قلنا جواداً فقد جرت معها المجود عليه . وإذا قلنا سميع فقد جرت معها المسموع به وما شاكل ذلك

وأما إذا قلنا انه تعالى موجود فما تجر هذه الصفة معها جوهراً سواه

وإذا قلنا انه حي فلم نجر معها جوهراً غيره وان قلنا ناطقاً فلا نجر معها جوهراً غيره . فهذه ثلاث صفات جوهرية كل صفة منها غير الأخرى والاله واحد وأما بقية الصفات الأخرى فهي صفات لواحق ليست جوهرية لذلك لم ندعها أقانيم ولكي يفهم أخونا المسلم لماذا لم ندع بقية الصفات الالهية باقانيم نشرح له معنى كلمة أقنوم

فالاقنوم كلمة يونانية الأصل معناها الوضعي يقرب من معنى كلمة شخص .

ومعناها الاصطلاحي تطلق في الديانة المسيحية على كل من الاب والابن والروح القدس في الثالوث الالهي

ولا يوجد لها معادل في اللغة العربية ويرادفها « الأصل والشخص » فلا يقال عن كيان أو كائن ما انه شخص أو اقنوم إلا اذا توفرت فيه الصفات والخصائص الآتية :—

(١) العقل والارادة

(٢) اسناد الضمائر الشخصية العاقلة اليه كانا وأنت وهو

(٣) الصفات الشخصية العاقلة والافعال العاقلة

وهذه جميعها أسندت الى كل من الاب والابن والروح القدس كما مر بك في الكلام عن التثليث كونه تعليم الكتاب المقدس

الفرق بين معنى الشخص للبشرية والاقنوم في اللاهوت هو انه قد يستعمل الأقنوم للدلالة على البشر والملائكة ويكون بمعنى شخص في كل شيء وقد يستعمل شخص للدلالة على الله فيكون بمعنى الاقنوم ولكن متى اريد التخصيص فاقنوم في اللاهوت يفرق عن الشخص المخلوق بما يأتي :—

١ - الأشخاص المخلوقون كالملائكة أو البشر منفصلون الواحد عن الآخر . مثلا بطرس ويعقوب ويوحنا ثلاثة أشخاص ولكنهم منفصلون

الواحد عن الآخر أما الأقانيم فهنا تميزوا بصفات وخصائص لا ينفصلون أبداً الواحد عن الآخر بما انهم طبيعة واحدة وجوهر واحد فى اللاهوت

٢ ـ الأشخاص فى البشر يجوز وجود الواحد فى كيانه وشخصيته ولو لم يوجد الاشخاص الآخرون لأن وجوده قائم بارادة باريه وليس متعلقاً ضرورة بوجود اشخاص آخرين من الخلائق . ولكن الأقانيم فى الله واجبو الوجود والأقنومية ككائن قائم بذاته مستقل من كل الوجوه حتى كما انه لا يمكن الا أن يكون الاقانيم الله هكذا لا يمكن الا ان يكونوا اقانيم الهية اقنوم الابن واقنوم الروح مساويان لأقنوم الأب فى الاستقلال الذاتى وفى الصفات وفى الكمالات الالهية

٣ ـ الأشخاص من الناس لهم فقط شركة فى ذات الطبيعة النوعية التى تسمى غالباً طبيعة الجنس الواحد ولكن ليس لأى منهم ذات الطبيعة الفردية التى لشخص آخر ومع ان كل انسان له طبيعة تشبه طبيعة بقية البشر ولكن الطبيعة البشرية كما هى مسندة لشخص ما ليست ذات الطبيعة البشرية الفردية المسندة لشخص آخر والا لكانت قوة العقل التعقل واعمالها كالتصورات والأفكار التى توجد فى انسان ما توجد هى بعينها فى الآخرين فى ذات الوقت

ولكن الواقع ان لكل منا طبيعة فردية خاصة به تختلف عن طبيعة الآخر ولو اشتركنا فى خصائص الطبيعة الجنسية العامة . ولكن لما نتكلم عن الأقانيم فى اللاهوت أن لهم الطبيعة الالهية والكمالات الالهية نعنى أن هذه الطبيعة هى نفس الطبيعة الفردية لكل منهم ولو انهم متميزون فى الأقنومية والا لما امكن أن يقال ان الاب والابن والروح القدس الله حقاً وفعلاً ولما كان لهم ذات العقل والارادة والكمالات الأخرى التى للطبيعة الالهية

٤ ـ كل شخص من الناس له ذات خاصة به فتتعدد الذوات عدد الأشخاص ولكل شخص ذاته الخاصة به دوناً عن غيره ولكن الأقانيم الإلهية ليست هكذا لأن الذات الالهية واحدة فللابن والروح

القدس كل كمالات الطبيعة الالهية بذات المعنى كما هى للاب . قال السيد المسيح : «مهما عمل الاب فهذا يعمله الابن كذلك» يو ١٩:٥

وقال الرسول : فأعلنه الله لنا بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى اعماق الله لانه من من الناس يعرف أمور الانسان الا روح الانسان الذى فيه هكذا أيضاً امور الله لا يعرفها احد الا روح الله (١ كو ١٠:٢ و ١١)

من هذه الشواهد وما أشبهها نستفيد أن ما يعلمه الواحد من الاقانيم يعلمه الآخر ايضاً وبناء على هذه الوحدة التامة بين أقانيم اللاهوت نخاطب الله دائماً كذات واحدة وذلك بدون مناقضة لكونه ذا ثلاثة اقانيم وبقدر أن نصلى ايضاً الى الله الواحد ولا عجب اننا لا ندرك اعماق اللاهوت

الاعتراض الثالث

يقولون ان التثليث والتوحيد لا يقبله العقل ولا يسلم به لانه لا يدركه

الرد على هذا الاعتراض

لو صدر هذا الاعتراض من جانب الكفرة والملحدين الذين لا يعتقدون بوحى الله فى الكتب المنزلة ولا يؤمنون الا بالعقل ولا يقبلون الا مايقع تحت حكم العقل وفهمه لكان لنا معهم شأن آخر فى الرد على هذا الاعتراض

أما وان الذى يعترض هذا الاعتراض هو المسلم الذى يؤمن بالله وبالوحى ويقول مع اليهود والنصارى بان هناك أموراً مادية وسموية لا يقدر العقل البشرى ان يدركها من ذاته بدون نور الوحى الالهى ، فهذا هو العجب بعينه وهنا محل الدهشة والاستغراب ، اذ يبنا المسلم يقر بحاجته الى نور الوحى الالهى لعجز العقل المحدود عن ادراك الأسرار الدينية فى طبيعة الله وحتى مع الاعلان الالهى ، ووجود الكتب المنزلة فان العقل

البشرى عاجز عن فهم أسرار الحياة الأبدية المعلنة فى الكتب المنزلة كل الفهم . نراه (أى المسلم) فى نفس الوقت يقول ان عقيدة التثليث المعلنة فى الكتاب المقدس الموحى به من الله هى عقيدة فوق العقل فلا يفهمها ولا يدركها وبناء عليه فهى عقيدة مرفوضة لايسلم بها العقل

واذا صمم المسلمون على القول بأن كل أمر دينى لا يفهمه العقل ولا يقع تحت حكم العقل يعتبر تعليما باطلا ومستحيلا ولا يجب الايمان به مهما كان منزلا وموحى به فى الكتب المنزلة ، فنقول لهم ما قولكم فى ما أجمع عليه اليهود والنصارى والمسلمون وأجمعت عليه كتبهم التوراة والانجيل والقرآن فى خلق السموات والارض وكل ما فيها من ملائكة وشموس وأقمار وكواكب وبشر وحيوانات وأسماك وطيور وجماد ونبات كل هذا قد خلقه الله فى ستة أيام وانه تعالى خلق الانسان من صلصال وطين

وما قولكم فى الانبياء ورسالتهم من عند الله ومعجزاتهم كاقامة الموتى وشفاء البرص واخراج الشياطين وابراء الأكمه وشفاء المفلوجين وخلق الطيور من الطين والنفخ فيها ، والنبى الأمى الذى لا يعرف القراءة والكتابة وقد أتى بكتاب يعجز الانس والجن عن الاتيان بمثله

وما قولكم فى البعث والنشور الذى يقوم فيه جميع البشر من آدم الى آخر انسان ينتهى عنده العالم من الذين ماتوا وأكلتهم النيران أو الوحوش أو الأسماك أو الدود وصاروا ترابا فتقوم أجسامهم بعد ان تحولت الى أتربة ودمنة وتداخلت فى أجسام أخرى من نبات وحيوان وتعود اليها أرواحها من فضاء اللانهاية وتقف للحساب أمام الديان ثم تنال الجزاء عن أعمالها ان خيراً فخير وان شراً فشر

فهل هذه العقائد الواردة فى التوراة والانجيل والقرآن قد قبلناها وآمنا بها لان العقل قد وقف على كنهها ووقعت تحت حكمه وبحثها ولمس حقيقتها أم سلمنا بها مع عجز العقل عن ادراكها وآمنا بها ايمانا دون ان

تراها العين وتسمع بها الاذن أو تلمسها اليد أو يتذوقها اللسان أو تشتمها الأنف — الادوات الخمس التي يحكم بموجبها العقل —

وهل اذا هاجمكم الكفرة والملحدون وطالبوكم باقامة الدليل العقلي على صحة ما تعتقدون فهل اذا عجزتم عن اقامة الدليل العقلي ترفضون هذه العقائد لا سيما وان دينكم قائم على الايمان بالله واليوم الآخر. أم تتمسكون بها رغم عجز العقل البشري عن ادراكها وتقولون للكفرة والملحدين ان لنا كتاباً منزلاً نؤمن بها ونصدق ما جاء فيها معتبرين الايمان الحاسة السادسة التي نحصل بها على ما تعجز الحواس الخمس أدوات العقل عن ادراكها وهل اذا سألكم كافر ملحد وقال لكم ما هو الله؟ وأين هو الله؟ فهل تستطيعون ان تعبروا له بموجب العقل عن ماهية الله وأين مكانه في الكون؟

وهل نحن بصفتنا يهوداً ونصارى ومسلمين نعرف بالعقل ماهي الروح وأين هي فينا؟ أما تقولون أنتم وتجيبون بقول القرآن: ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا؟

ونحن وأنتم جميعنا لنا عقول ومدارك وقوى روحية أخرى فهل نعرف ماهيتها وهل اذا عجزنا عن معرفة ماهيتها وقد عجزنا فعلا عن معرفتها فهل ننكر وجودها ونقول بما اننا لا نعرف ماهيتها ولا يستطيع العقل ادراكها فنحن بلا عقول أو مدارك وقوى روحية بل نحن كالحيوانات والنباتات والجماد لا عقل لنا ولا قوى روحية فينا أم نؤمن رغم عجز العقل عن ادراكها ونصدق بما أنزل في الكتب المنزلة بما لنا من روح وعقل وقوى روحية

وهو ذا نحن جميعنا نلمس الاشياء المادية وتقع تحت بصرنا وحسنا فهل نعرف حقيقة جوهرها كالكهرباء والراديو والمغنطيس وهل ندرك حقيقتها بعقولنا؟

هل ننكرها ونرفض استعمالها ولا نتقى أضرارها ولا نخاف اخطارها متغاضين عنها لأن عقولنا لاتدركها ؟

ان تاريخ العالم مملوء من الشواهد على أمور حسبها الناس فى زمن من الأزمنة انها مستحيلة ولا يقبلها العقل ثم عادوا فاعتقدوا بانها ممكنة وحقيقة واقعة .

نقرأ عن غاليليو الفلكى الشهير كيف انه لما قال ان الارض دائرة ومتحركة خلافا للاعتقاد السائد ذاك الوقت ، قام عليه ذات علماء الكنيسة البابوية وحسبوا تعليمه مستحيلا وكفراً وحكموا عليه بالسجن ولكن الآن يعتقد جميع العلماء من ذات الكاثوليك بدوران الارض وحركتها

ومنذ سنين قليلة كان بعض العلماء يقولون ان طيران الانسان مستحيل لأسباب طبيعية ولكن الآن تحققنا جميعاً عالمنا وجاهلنا إمكانية الطيران وها نحن نراه فوق رؤوسنا ونطير متى شئنا

وكم قضى الجنس البشرى ألوف السنين يعتقد بالجوهر الفرد الذى يقف عند حد من التجزئة وها ذا نحن اليوم نعيش فى عصر الذرة التى لا ترى بالعين المجردة وكيف انها تحتوى على قوات فى داخلها اذا ما فك رباطها خرجت منها قوات مدمرة لمدن وبلاد شاسعة

وكم كان يبدو مستحيلا منذ سنوات قليلة القول بان الناس يتخاطبون فى كل قارات العالم ويسمعون أصوات بعضهم البعض بلا أسلاك ولا مواصلات للصوت مادية كما انهم يرون من الابعاد الشاسعة صور بعضهم البعض كما يسمعون أصوات المتكلمين

وها نحن نصدق هذا اليوم ونرى ونسمع هذا المستحيل

فقد يكون أمر ما مجهولا ومستغربا مع كونه ممكن التصديق ، وكم من الحقائق العلمية والطبيعية حسبها القدماء مستحيلة لجهلهم إياها ولكن الايام كشفت ما كان خفياً وبينت ان المستحيل ممكن

فالعاقل من لا يجعل فهمه القاصر أو ميله الموروث مقياساً للممكن

والمستحيل لأن ذلك محض جهالة نظير من يجعل أفق نظره حداً للفضاء الغير المحدود .

فاذا كانت الأمور المادية قد عجزت العقول عن ادراك كنهها ولكن بالرغم عن ذلك ترانا نسلم بها ونعترف بوجودها وخاصيتها ونخافها ونستخدمها

إسمع أيها المسلم ماذا يقول الامام الفخر الرازى فى تفسيره للآية قوله ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (الاعراف)

قال : ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه فإنّ أكثر حقائق الاشياء وماهياتها مجهولة فانا نعلم ان السكنجبين له خاصة تقتضى قطع الصفراء فاذا ما أردنا ان نعرف ماهية تلك الخاصة وحقيقتها المخصوصة فذاك غير معلوم فثبت ان أكثر الماهيات والحقائق مجهولة ولا يلزم من كونها مجهولة نفيها فكذلك ههنا . وهذا هو المراد من قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا

وقد جاء فى كتاب اليواقيت ان الحق تعالى انما حير عقول عباده فيه لئلا يدخل تعالى تحت حكم ما خلق وذلك ان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها لتعلم موجدها . فلذلك خاطب تعالى الحواس والخيال بتجريده الذى دلت عليه أدلة العقول والحواس فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بايدينا منه شيء وخاطب العقول بتشبيهه الذى دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالوا ما بايدينا منه شيء وتعالى الله عن ادراك العقول والحواس والخيال فلذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة فى وصف كماله فما علمه سواه ولا شاهده غيره ولا أحاط احد به علماً

أليس هذا يوافق القول ان تعليم التثليث سر لأنه تعليم فى طبيعة الله وقال أبو بكر الصديق : سبحان من الجهل بذاته هو عين العلم

وقال أيضاً : البحث عن ذاته اشراك والجهل بذاته ادراك

وسأل الزمخشري الغزالي عن قوله : الرحمن على العرش استوى. فان الاستواء على الشيء الاستقرار عليه وهذا محال في حق الله

فاجابه : اذا استحال ان تعرف نفسك بكيفية أو اينية فكيف يليق بعبوديتك ان تصف الربوبية باينية أو كيفية وهو مقدس عن الاين والكيف

فالتثليث ليس فيه ما هو مستحيل ولا ماهو مضاد للعقل لاننا لانقول ان الله ثلاثة جواهر بل ثلاثة أقانيم في جوهر واحد . ففيه وحدة وتعدد ، وحدة في الجوهر وتعدد في الأقانيم ، والاقنوم غير الجوهر

ولو كان كلامنا ان الثلاثة أقانيم هي اقنوم واحد لكان ذلك محالا ومضاداً للعقل والبديهة . ولو قلنا ان الله ثلاثة جواهر ، وهذه الجواهر الثلاثة هم جوهر واحد لكان ذلك محالا ومضاداً للعقل . ولكننا نقول ان الله ثلاثة باعتبار ، وواحد باعتبار آخر

فنحن متفقون مع جميع الموحدين في العالم ، الله ذات واحدة جوهر واحد ، ومنفردون بالاعتقاد انه ثلاثة اقانيم وتصورنا ان الاقنومية ليست عين الذاتية .

وهذا هو قانون اثناسيوس بطريرك الاسكندرية ومنه يرى المسلم ويفهم اعتقادنا وتعبيرنا عن الثالوث القدس :

الآب اله ، والابن اله ، والروح القدس اله ، ولكن ليسوا ثلاثة آلهة بل اله واحد . الاب سرمد . والابن سرمد . والروح القدس سرمد ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمد واحد . الاب ضابط الكل والابن ضابط الكل والروح القدس ضابط الكل ولكن ليسوا ثلاثة ضابطين بل واحد ضابط الكل

يقول المعترضون : انه لا يوجد في كل الخليقة مثال لهذا التعبير لان كل ذات في الملائكة والناس هي اقنوم وكل اقنوم هو ذات ممتاز عن غيره فكيف يمكن ان يكون الله ثلاثة اقانيم ولا يكون ثلاثة ذوات

· الجواب على هذا بان ليس لله مثيل في الخلق وقد قرر علماء الاسلام أنفسهم : ان ذات الالهية مغايرة لسائر الذوات فلا يجب ان تنسى البون العظيم الغير محدود بين الذات الالهية وبقية الخلائق فانه لو كانت الذات الالهية محدودة كالبشر والملائكة لأمكن للعقل البشرى ان يعلل عنها أو يحكم باستحالة تعدد الاقنومية فيها ولكن بما ان عقولنا لن تخلق لتحكم ولتدرك الجوهر الالهي والاقانيم الالهية فلا حق لها ان تحكم باستحالة وجود ثلاثة أقانيم في الله

لاحظوا ان كل صفات الله نعبر عنها بألفاظ من أوصاف البشر مفروض فيها ان التعبير مجازي لا حقيقي . ومن تأمل في الصفات الالهية وأراد ان يصفها بألفاظ حقيقية غير مجازية لا يسعه الا الاعتراف بالعجز ، مثلا يوصف البارى بانه سميع أى له صفة السمع على اننا لا نفهم كيف يسمع الله · لاننا لا نعرف في هذا العالم الا السمع المخلوق وشتان بين الصفة المخلوقة والصفة الخالقة . السمع المخلوق قوة وضعها الله في العصب المفروش في مقر صماخ الاذن على حالة مخصوصة فتى صار الصوت أحدث اهتزازات وتموجات في الهواء تضرب على طبلة الاذن السليمة فيصل السمع الى النفس والروح أو العقل واذا حدث تلف في أعضاء السمع تعطل السمع واصبح الانسان أصم أو اطرش . هذا هو السمع المعهود عندنا فهل يسمع الله بآلة كالاذن وأعضائها كلا . ولكن كيف يسمع بلا واسطة . هذا أمر فوق ادراكنا ولكننا نؤمن به وهكذا القول عن الله انه بصير ومالىء كل مكان وقائم بذاته وأزلي وقدير وناطق ،

فان كان الله غير المخلوقات في ذات الصفات التي فيهم مايشبهها فهل يستحيل ان يغايرهم في مسألة الاقنومية

ولاتمام الفائدة أقتبس لحضراتكم بعض اقوال علماء المسلمين في الله :

قال الشيخ محيي الدين ؛« كيف يصح تشبيه من لا يقبل المثل عن يقبل المثل وهذا والله محال »

وقال : « وما طلب الحق تعالى مناف الا العلم بوجوده وألوهيته لاغير واما الحقيقة فلا »

وقال : « لا يصح تشبيهه بخلقـــه ابداً لا فى شخص ولا فى نوع ولا فى جنس »

وقيل فى كتاب الفتوحات باب ١٢٦ « اننا لم نؤمر بمراقبة عين الذات وانما المراقبة حقيقة للمثل التى تنزل الحق تعالى للعقول تقريباً لها لتقف على مراكز ولما اقتضت مرتبة العلماء بالله تعالى ان ليس كمثله شىء ارتفعت الامثال والاشكال من أوهامهم فلم يتقيد لهم أمر الاله المنزه عن الامثال ولم ينضبط بل جهل الامر وان علمهم به تعالى انما من حيث نسبة معقولة أعطتها الآثار الموجودة فى الاعيان لاغير واذا كان الامر كذلك فلا كيف ولا أين ولا مثل ولا وضع ولا اضافة ولا عرض ولا جوهر . ولا كم وما ثم إلا فاعل مجهول يرى أثره ولا يعرف خبره ولا تعلم عينه ولا يجهل كونه »

وفى باب ٣٢٢ « من خاض فى الذات بفكره فهو عاص لله ورسوله وما أمر الله تعالى بالخوض فى معرفة ذاته لا النافى ولا المثبت وذلك لان العبد اذا عجز عن معرفة كنه نفسه فمن معرفة كنه الحق تعالى من باب اولى بل لو سئل الخائض عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ما قدر وان قيل له كيف تدبر نفسك بدنك وهل هى داخلة فيه او خارجة عنه او لا داخلة ولا خارجة ، وهل الزائد الذى يتحرك بهذا الجسم الحيوانى ويسمع ويبصر ويتخيل ويفكر لما يرجع هل لواحد او لكثيرين وهل يرجع للجوهر او عرض او جسم وبطالبه بالادلة العقلية فضلا عن الشرعية لما وجد لذلك دليلا عقلياً ابداً ولا عرف ان للارواح بقاء ووجوداً بعد الموت ابداً » .

وقال فى باب ٣٧٣ « اعلم ان الحق تعالى لا يدرك بالنظر الفكرى أبداً

وليس عندنا اكبر من ذنب الخائضين فى ذات الله بفكرهم فانهم قد أتوا باقصى درجات الجهل »

وسئل مرة ابو بكر الصديق : « بم عرفت ربك » اجاب : « عرفت ربى بربى واولا ربى ما عرفت ربى »

وسئل على بن أبى طالب :

بم عرفت ربك ؟ قال: عرفت ربى بما عرفنى به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس قريب فى بعده بعيد فى قربه فوق كل شىء ولا يقال تحت كل شىء

ترون أيها الاخوة من هذا أن وصفنا لله بانه ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد ولو خالف كل مثيل فى الخلق فلا يخالف ما ينتظره العقل السليم فى ذات الاله الذى لا مثيل له . وعليه فهذا التعليم لا يضاد العقل السليم ولو انه فوق مداركه

اقوال الغزالى

وقد فسر الامام العلامة ابو حامد محمد الغزالى عقيدة النصارى فى التثليث فى كتابه الرد الجميل عن نسخة قديمة من كتاب أصول الدين لأبى الخير ابن الطيب المعاصر للغزالى قال :

يعتقد النصارى أن ذات البارى تعالى واحدة ولها اعتبارات

فان اعتبر وجودها غير معلق على غيره فذلك الوجود المطلق، وهو ما يسمونه باقنوم الاب

وان اعتبر معلقاً على وجود آخر كالعلم المعلق على وجود العالم فذلك الوجود المقيد هو ما يسمونه باقنوم الابن او الكلمة

وان اعتبر معلقاً على كون عاقليته معقولة منه فذلك الوجود المقيد أيضاً ، هو ما يسمونه بأقنوم روح القدس ، لأن ذات البارى معقولة منه

والحاصل من هذا التعبير الاصطلاحي أن الذات الالهية واحدة في الجوهر وان تكن منعوتة بصفات الأقانيم

ويقولون أيضاً :

أن الذات من حيث هي مجردة لا موصوفة عبارة عن معنى العقل ، وهو المسمى عندهم بأقنوم الاب .

وان اعتبرت من حيث هي عاقلة ذاتها ، فهذا الاعتبار ، عبارة عن معنى العاقل وهو المسمى بأقنوم الابن أو الكلمة

وان اعتبرت من حيث أن ذاتها معقولة منها ، فهذا الاعتبار عبارة عن معنى المعقول ، وهو المسمى بأقنوم الروح القدس

فعلى هذا الاصطلاح ، يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط ، والاب والابن مرادف له ، والعاقل عبارة عن ذاته بمعنى انها عاقلة ذاتها ، والابن أو الكلمة مرادف له ، والمعقول عبارة عن الاله المعقولة ذاته منه وروح القدس مرادف له أيضاً . ثم عقب قائلا : اذا صحت المعاني فلا مشاحة في الالفاظ ولا في اصطلاح المتكلمين

لابن الطيب

قال ابو الفرج عبد الله ابن الطيب عند ما سئل عن ماهيـة الدين النصراني : يشبه دين النصارى درة سنية في أغشية كثيفة ، كل دليل يقوم عليه ، غشاء ينكشف عنه ، فاذا ظهرت هويته بالبراهين ، وانجلى سبيله بالادلة انهتك عنه سجون الشك وتألقت حقيقته بنور اليقين ، واكشف الاغشية ، قولهم بان الكلمة الازليـة ابن الله ، هو لفظ ينفر منه السمع ، وينبو عنه الذهن ، فاذا أيد البرهان انه ابن روحاني ووالده عقلي ، حصحص الحق وظهرت حجته على الباطل وأهله لأن معناه أن الله ابو علمه أي كلته ووالد نطقه أي حكمته

فهمنا وتعبيرنا عن التثليث لم يتغير

ولكى تعلم أيها الشيخ المحترم أن عقيدة التثليث وفهمها عند جميع المسيحيين فى كل زمان ومكان وبالرغم عن الاختلافات المذهبية هى هى لم تتغير ولم يختلف المسيحيون فيها فى زمن من الازمان وما تعدد الكتاب وتعدد التآليف فى هذه العقيدة إلا زيادة فى الشرح والايضاح وضرب الامثلة التى تقرب الفهم أما جوهر المعتقد فهو المحور الدائم الذى تدور حوله الكتابة والشروحات الكثيرة

وفضلا عما أوردناه من نصوص الكتاب المقدس، فى عقيدة التثليث والتوحيد فها نحن نورد قانون مجمع نيقية المسكونى الذى انعقد سنة ٣١٨ ميلادية بسبب بدعة اريوس الذى قال:

ان الاب هو الاصل وان الابن والروح القدس مخلوقان منه غير أن لهما المقام الاول بين الخلائق وطبيعتهما تشبهان طبيعته. فينتج من هذه البدعة ان الاب وحده هو الله وأن الابن والروح القدس غير مشتركين فى طبيعته الالهية.

فبعد بحث ومفاوضات ومداولات أجمع رأى أعضاء المجمع وعددهم ٣١٨ اسقفاً على هذا القانون وهو:

نؤمن باله واحد آب ضابط الكل خالق كل الاشياء ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من الاب الوحيد اى من جوهر الاب إله من إله نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للاب فى الجوهر الذى به كان كل شىء فى السماء وعلى الارض الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم وقام ايضا فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء وسيأتى من هناك ليدين الاحياء والاموات وبالروح القدس. وأما الذين يقولون انه كان زمان لم يوجد فيه (اى

يوجد فيه ابن الله) وانه لم يكن له وجود قبل ان ولد وانه خلق من العدم وانه من مادة أخرى أو جوهر آخر او ان ابن الله مخلوق او انه قابل التغيير فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية
وواقق على هذا القانون مجمعا افسس والقسطنطينية

شرح ايليا مطران نصيبين

سأل القاضي الجليل أدام الله توفيقه ان أذكر له اعتقاد النصارى في الباري تعالى وما معنى قولهم : انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم وأنا ذاكر لك حسب ما رسم واقول : —

نحن معشر النصارى

نعتقد أيد الله القاضي ان الباري جلت قدرته واحد لا اله إلا هو ، وانه كيان واحد ثلاثة اقانيم .

فان قال قائل من الموحدين : وما حملكم ان تقولوا انه كيان ثلاثة اقانيم وما معنى ذلك ؟

قلنا قد اتفقنا وانتم على ان الباري تعالى واحد . وليس يخلو هــذا الواحد ان يكون قائماً بنفسه او موجوداً في غيره مثل الاعراض
ومن المحال ان يكون موجوداً في غيره فهو اذن قائم بنفسه .

وليس يخلو هذا القائم بنفسه ان يكون حياً او غير حي . ومن المحال ان يكون خالق الحياة غير حي فهو اذن حي

وليس يخلو هذا القائم بنفسه الحي ان يكون حكيما او غير حكيم . ومن المحال ان يكون خالق الحكمة غير حكيم فهو إذن حكيم

فقد ثبت ان الباري جلت قدرته قائم بنفسه حي حكيم

والسريانيون يسمون كل موجود قائم بنفسه : « كيانا » سواء كان قديماً او محدثاً اذ كان حد الكيان عندهم هو القائم بنفسه

ولما كان البارى جلت قدرته حياً حكيما، وكان لا حياً الا بحياة، ولا حكيما الا بحكمة

ثبت أن البارى كيان واحد من حيث هو قائم بنفسه حى بحياته حكيم بحكمته.

ولما كانت ذاته غير قابلة للاعراض بطل ان تكون حياته وحكمته عرضين

وكل ما ليس بعرض فهو اما كيان واما اقنوم

ولما بطل أن تكون ذات البارى وحياته وحكمته ثلثة اكيان أو ثلثة اعراض ثبت انها ثلاثة أقانيم

ونقول أن الله هو كيان واحد ثلثة أقانيم. فقولنا «كيان واحد» عبارة عن القائم بنفسه. وقولنا ثلاثة أقانيم عبارة عن الذات والحياة والحكمة

فلا فرق بين قولنا كيان واحد ثلثة أقانيم وبين قولنا قائم بنفسه ذو حياة وحكمة.

فان قال بعض المسلمين: انكم إذا أثبتم للبارى تعالى حياة وحكمة فقد أثبتم معه قديمين آخرين وهذا ضد التوحيد

قلنا قد أجمعنا نحن وأنتم على ان البارى حكيم حى، وتعلم من حكم اللغة والقوانين المنطقية أن الاسماء المشتقة مأخوذة من معان موجودة بها للمسميات بالاسماء المشتقة

والحكيم مشتق من الحكمة والحى مشتق من الحياة

واذا كان الأمر على هذا وكان البارى حياً حكيما وجب ان يثبت له حياة وحكمة

فان قيل: ان هذا يلزم فى سائر الاسماء الا فى اسماء البارى. وان ليس الاسماء المشتقة له بمعان موجودة فيه كالاسماء المشتقة للمخلوقين لمعارفهم

قلنا ان هذا الاستثناء فى موضع خلاف وهو دعوى بلا دليل وهذا ما لا يجوز فى النظر لأن من شرط النظر ان لا تجعل الدعوى دليلا وانتم

انما تدعون في هذا الموضع خلاف ما يوجبه القياس . وقوانين المنطق وأصول اللغة توجب أن لا يكون حكيم الا بحكمة ولا حى الا بحياة ؟ كما لا نحوى الا بنحو ولا مهندس الا بهندسة . ولو لزمنا الشرك لاجل اثباتنا لله حياة وحكمة لكان أكثر المسلمين احق منا بالشرك . لانهم يثبتون ان لله العلم والحياة والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر . فان كانوا مع اثباتهم لله ذلك بريئين من الشرك فنحن ايضاً مع اثباتنا لله الحياة والحكمة بريئون من الشرك

وان قال قائل : لما كان البارى جلت قدرته حكيما حيا خالقاً جواداً رازقاً رحيما حليما سميعاً بصيراً وغير ذلك من الاوصاف فلم اقتصرتم على أن اثنتم له منها الحكمة والحياة فجعلتم الحكمة والحياة اقنومين وحذفتم ذكر الرحمة والجود وغير ذلك من الصفات التى كان يلزمكم على اصولكم أن تجعلوها أقانيم كما جعلتم الحكمة والحياة ؟

قلنا ان أسماء الله على ضربين : ذاتية وفعلية

فالاسماء الذاتية هى أن تخص كيانه وذاته مثل قولنا القائم بنفسه الحكيم الحى .

والأسماء الفعلية هى مشتقة من مثل قولنا الخالق الجواد الرازق الرحيم السميع البصير وما شاكل ذلك من الاسماء . فقولنا ان البارى تعالى حكيم حى مثل قولنا قائم بنفسه

واما اثباتنا له الحكمة والحياة مثل اثباتنا له الذات لان حكمته وحياته ليستا بقوتين مركبتين مثل حكمة المخلوقين وحياتهم لكنهما ذاتيان كيانيان غير متجزئتين من الذات وغير متبعضتين من الكيان .

وقولنا ان له خلقاً وجوداً وارادة ورحمة وغير ذلك من الصفات فهى صفات فعلية تتعلق بافعاله وذلك أن الخالق مشتق من خلق يخلق . والجواد من جاد يجود . والرازق من رزق يرزق . والرحيم من رحم

يرحم . والحليم من حلم يحلم . والسميع من سمع يسمع . والبصير من بصر يبصر

فجميع هذه الاسماء وما شاكلها هي مشتقة من الافعال وهي تتعلق بالخالق والمخلوقين . وذلك أن قولنا جواد يتعلق به وبالذين يجاد عليهم . وقولنا خالق يتعلق به وبالمخلوقين وقولنا رازق يتعلق به وبالرزق والمرزوقين وقولنا مريد يتعلق به وبالمراد وقولنا رحيم يتعلق به وبالمرحومين وعلى هذا المثال تجري الامور في جميع الاسماء الخارجة عن الذات والحكمة والحياة

فلما كانت الذات والحكمة والحياة خواص ذاتيــة وكانت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفات فعلية سميت الذات والحكمة والحياة خواص واقانيم . وسميت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفات

فان قيل : ان قولكم بان الله جوهر يؤدى الى القول بان الاعراض تدخل عليه تعالى لان حد الجوهر ما حمل العرض

قلنا : ان الذي نعتقده في الباري هو انه قائم بنفسه ونحن نسمي القائم بنفسه بالسريانية « كيانا » . ولما فسر المقدمون من علمائنا الكتب المنطقية والشرعية عبروا عن هــذه اللفظة التي هي بالسريانية « كيانا » ومعناها القائم بنفسه باللفظة التي هي بالعربيــة جوهر ونرى الحال في زماننا هذا واقعاً في معنى هذه اللفظة لأن متكلمي المسلمين يقولون : ان حد الجوهر ما حمل العرض . فان كان معنى الجوهر هو القائم بنفسه فلا طعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان الله قائماً بنفسه . واذا كان معنى الجوهر عندهم ما حمل الاعراض فليس الله جوهر .

واذا رجع الى اقاويل المسلمين على انه لا طعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان قصده في قوله جوهر القائم بنفسه

ومنهم الشيخ العالم أبو جعفر احمد بن الأشعث فانه يقول في الباب الثاني عشر من المقالة الاولى من كتابه في العلم الالهي ماحكايته :

قد تبين ان المحرك الاول أول على الاطلاق فهو اذن علة الموجودات كلها وما كان كذلك فلا يخلو من ان يكون إما جوهراً وإما عرضاً . ومن المحال ان يكون عرضاً لأن الجوهر علة وجود العرض ، والله علة وجود كل شيء، ولولا الجوهر لم يوجد العرض قائماً بذاته فليس الامر في ذلك بالعكس فيبقى ان يكون جوهراً أو شيئاً أشرف من الجوهر أو جوهراً بحسبه أو كياناً أو عيناً كيف شئت تقول بعد ان يكون المعنى محفوظاً فهذا القول من هذا العالم يجيز القول بان الله جوهر بمعنى انه قائم بنفسه وهو المعنى الذي تذهب اليه النصارى في قولهم ان الله جوهر

قال القاضي الجليل أبو بكر محمد بن الطيب (المعروف بابن الباقلاني) في كتاب الملمس على الاصول الخمس ماهذا حكايته :

اعلم ان النصارى اذا حققنا معهم الكلام في قولهم ان الله جوهر واحد ذو ثلاثة أقانيم لم يحصل بيننا وبينهم خلاف الا في الاسم لأنهم يقولون انه جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى انه قائم بنفسه . فالمعنى صحيح وانما العبارة فاسدة لأن الاسماء يرجع فيها الى اللسان ولم يطلق عليه أحد منهم جوهراً وانما الكلام معهم في تثبيت النبوة لليهود

فقد دل هذا القول من هذا القاضي على انه لا طعن على النصارى في قولهم ان الله جوهر بمعنى انه قائم بنفسه وانه لاخلف بينهم وبين المسلمين إلا في نبوة محمد بن عبد الله

وقال القاضي أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن شبل في كتابه في أدب الجدل ما حكايته :

ألا ترى ان سائر الأمم تقيس القدير سبحانه على الشاهد في جميع ما يثبتونه من وحدانيته وصفاته وعدله وقدرته وفعله . فيقولون الدليل على انه قادر وجود أفعاله ، لأن الفعل في الشاهد من أحدنا يدل على كونه قادراً ، وكذلك الفعل المحكم من أحدنا يدل على كونه عالماً . ويستدل

يقعل الباري جلت قدرته المحكم على كونه عالماً فيجمعون بينهما بمعنى من المعاني وان افترقا من وجوه أخرى . فلو ان قائلا قال : لا يقاس البارى على أحدنا فى الشـواهد لأنه قديم ونحن محدثون ونحن أجسام وهو غير جسم ، ونحن نعلم ونجهل ونقدر ونعجز وهو لا يجهل ولا يعجز لكان كلاماً فاسداً

وكذلك النصارى يقيسون القديم على المحدث فى كونه جوهراً بمعنى انه قائم بنفسه وان كان الجوهر فى الشاهد محدثاً حاملا للعرض واذا كان ذلك كذلك علمنا ان القياس يصح من جهة واحدة ومعنى واحـد وان افترقا من وجوه أخرى

فقد دل قول القاضى على ان الذى دل المسلمين على ان الله قادر عالم هو الذى دل النصارى على ان الله جوهر اذ كان الجوهر عندهم القائم بنفسه فاما عند من يعتقد ان حد الجوهر ما حمل العرض فمعاذ الله ان يكون الله جوهراً ومن قال انه جوهر على هذا الوجه فقد كفر . وبالجملة اذا اجتمع أهل لغة العرب على ان هذا الجوهر ما حمل العرض فقد ثبت اقرارهم ان ليس فى لغتهم لفظة تصح ان يعبر بها عن القائم بنفسه

فاذا كنا لا نجد فى لغة القوم لفظة نعبر بها عن القائم بنفسه اذ ليس فى لغتهم لفظة حدها القائم بنفسه فالاحوط ان نعبر عن ذلك باللغة السريانية المقدم ذكرها وهى الكيان كما لم نجد فى لغتهم لفظة نعبر بها عن الشيء الذى ليس بكيان عام ولا عرض عبرنا عنه باللفظة السريانية التى هى الأقنوم اذ هى تقع عند السريانيين على كل ما ليس بكيان عام ولا عرض

ولذلك نقول ان البارى جلت قدرته كيان واحد ثلثة أقانيم والقاضى الجليل يقف على ذلك ويعرفنى ما عنده فيه ان شاء الله

شرح أبو شاكر به الراهب أبو المكرم

بطرس بن المهذب شماس كنيسة المعلقة بمصر القديمة فى كتابه المسمى بالشفا فى كشف ما استتر من لاهوت المسيح وما اختفى قال :

ولما تقدم فى سابق علم الله تعالى عجز الانسان الناطق عن ادراك معرفة ذات الله تعالى . ثم اختلف فى صفاته ايضاً . أنطق الله الاشكال الغير ناطقة بالقوة الطبيعية التى جعلها الله فيها دليلا لابالاسان لتدل على حقيقة معرفة توحيد ذاته تعالى وتثليث صفاته الذاتية . فظهر لنا حينئذ انه ليس فى الاشكال الهندسية شكل لا يقبل الزيادة ولا النقص ايضاً ولا التبدل من حال الى حال ولا يتناهى فى المقدار سوى المثلث المتساوى الاضلاع ويدل هذا أيضاً مع ان ذاته واحدة وانها مجموع زواياه . وان ذاته غير كل واحدة من زواياه وكل زاوية منهن غير الاخرى . وكل زاوية منهن مساوية للاخرى . وان زواياه ليست قدراً زائداً على ذاته . وهو ايضاً محيط بالشكل المستقيم الذى هو القائم الزوايا وكلاهما واحد لا اثنان بيان ذلك انا نفرض مثلث ا ب ج غير كل واحدة من زواياه . وكل واحدة من زواياه غير الأخرى . وكل واحدة منهن مساوية للاخرى . وليس كل زواياه قدراً زائداً على ذاته فان أخذنا زاوية ا مع زاويتى ب ج فهو مثلث واحد . وان أخذنا زاوية ب مع زاويتى ا ج فهو ذلك المثلث الواحد عينه .

وان أخذنا زاوية ج مع زاويتى ا ب فهو ذلك المثلث الواحد أيضاً لا غيره لجميع المفهوم من وجوه زوايا ا ب ج الثلاث مفهوم واحد ومثلث واحد . فان نظرت الى ادراك وجوده من أى وجه من تلك الوجوه فهو فى الشكل واحد من حيث ذاته أو من حيث تلك الوجوه . فكل مثلث ا ب ج المتساوى الاضلاع لا يقبل الزيادة ولا النقص فى ذاته وكل ما لا يقبل

الزيادة ولا النقص فى ذاته لايقبل الزيادة ولا النقص فى أجزائه ولا من زواياه أيضاً . فكل مثلث ا ب ج المتساوى الاضلاع لايقبل التبدل من حال الى حال ولا يتناهى فى المقدار . وكل ما لا يتبدل من حال الى حال ولا يتناهى فى المقدار ولا يقبل الزيادة ولا النقص فى ذاته فلايقبل الزيادة ولا النقص فى زواياه أيضاً . فدلنا هذا الشكل أيضاً ان الاله تعالى واحدفى ذاته مثلث فى صفاته . فاذا أردنا اخراج القائم الزوايا من القوة الى الفعل . فانا نقسم ضلعاً من اضلاع المثلث المتساوى الاضلاع وهو ضلع ا ونجعل عليه د ويسمى القاعدة ونخرج من د خطاً مستقيما الى زاوية ج ويسمى العامود والقائم الزوايا المستقيم ، والقائم الحق

فزاوية ا د ج القائمة مساوية لزاوية ب ج د القائمة فمربعا ضلعى زاوية ا د ج مثل مربع ضلع ا ج الذى يوترها ومربعا ضلعى زاوية ب د ج مثل مربع ضلع ب ج الذى يوترها . فمثلث زاوية ا د ج مساو لمثلث زاوية ب د ج فظهر ان المثلث القائم الزوايا قطب المثلث المتساوى الاضلاع . فهما شكل واحد لا اثنين ومنه يقوم . فالقائم الزوايا هو قائم فى المثلث المتساوى الاضلاع . وهو متولد منه . ووجوده بوجوده . وبالقائم الزوايا تقوم سائر الاشكال الهندسية وتعرف أحقاً كانت أم باطلا . ولا تقوم بغيره واجباً اضطرارياً لازماً .

هذا الشكل يدل باربعة وعشرين دليلا على انه :

(١) ذات واحدة
(٢) ثلاث زوايا ايضاً
(٣) انه متساوى الاضلاع
(٤) ان ذاته هى مجموع زواياه
(٥) ان ذاته هى غير كل واحدة من زواياه
(٦) ان كل زاوية من زواياه غير الاخرى
(٧) ان كل زاوية من زواياه مساوية للاخرى

(٨) ان ذاته ليست بقدر زائد على زواياه
(٩) ان زواياه ليست بقدر زائد على ذاته
(١٠) ان كل زاوية من زواياه مع الزاويتين الآخرين مثلث واحد ذات واحدة
(١١) ان كل وجه من وجوه زواياه الثلاث اذا أشير اليه بمفرده دون الوجهين الآخرين اللذين للزاويتين الباقيتين لا ينفصل عنهما ولا يفترق منهما ولا يتميز بمفرده دونهما
(١٢) انه لا يقبل الزيادة
(١٣) انه لا يقبل النقص أيضاً
(١٤) انه لا يتغير
(١٥) انه لا يتبدل من حال الى حال
(١٦) انه لا يتناهى في المقدار
(١٧) فيه يوجد وجود القائم الزوايا بالذات
(١٨) ان وجود القائم الزوايا لا يوجد بغيره
(١٩) ان وجوده بوجوده
(٢٠) هو مشروط بشرطه ثابت بثبوته
(٢١) هو متولد منه لا والداً له ولا متولد من غيره
(٢٢) ان بالقائم الزوايا تقوم سائر الأشكال الهندسية ولا تقوم بغيره
(٢٣) ان بالقائم الزوايا يعلم سائر الاشكال حقاً كانت أم باطلا
(٢٤) ان المثلث المتساوى الاضلاع أعظم من القائم الزوايا وان كانا كلاهما شكلا واحداً لا اثنان
فاذا كان هذا دليل المحسوس فما عسى ان يكون دليل البسيط الغير المحسوس ولا مرئى ولا مدروك أيضاً
أما سائر الأشكال الهندسية فلا تقبل الزيادة بل النقص وكل مايقبل

النقص فى ذاته أمكن عدمه وكل ما يقبل النقص يتبدل من حال الى حال والدليل على ذلك ان الشكل المربع المتساوى الاضلاع القائم الزوايا لا يقبل الزيادة بل النقص والتبدل من حال الى حال مثاله انا نخط مربع ا ب د ج كل ضلع من أضلاعه مساو للآخر نفرض كل ضلع منه ى ونضرب ى فى مثله يخرج من الضرب ق وهو بسيطه

ثم نخط أيضاً رباعياً معيناً متساوى الاضلاع وهو الرباعى ا ب ج د كل ضلع منه أيضاً ى فشكل المربع المعين المتساوى الاضلاع ليس بقائم الزوايا بل حاد الزوايا ومنفرج . كل ضلع منه ى

ولا يمكن ان تعلم حقيقة هـذا الشكل وكل شىء الا بقائم الزوايا . فنقسم ضلع ا بقسمين وهو د و ونجعل عليه هـ ونقسم ضلع ج قسمين وهو د و وأيضاً نجعل عليه ز ونخرج خطـا مستقيما من ا الى ز ومن ج الى هـ وقد كان كل ضلع من أضلاعه ى فزاوية ج هـ د مساوية لزاوية ا ز ب فمربع ج د مساو لمربعى ضلعى د هـ و ج هـ وضلع ج د معلوم وهو ى وضلع د هـ معلوم وهو و فضلع ج هـ يكون معلوما بهما لاننا نطرح مربع و من مربع ى ونأخذ جذر ما بقى يكون ج فنضرب ج فى و يكون مح وهو بسيط الزاويتين ·وزاوية ج هـ وزاوية ا ز ب ونضيفه لبسيط مربع د ح القائم الزوايا وهو لب لجملتـه ف وقد كان ق ظهر بهـذا الدليل قبوله النقص وهكذا سائر الاشكال تقبل النقص والتبدل من حال الى حال ما خلا المثلث المتساوى الاضلاع

فأما اسم الاب والابن والروح القـدس فان معنى الاب والابن هو معنى الوالد والمولود ومفهومه ينقسم الى قسمين : أحدهما جسمانيا والآخر روحانياً . فأما مفهوم الجسمانى منها : فلا تقوم فى العقل حقيقتـه دون اجتماع ذكر وأنثى وحصول الحبل ومدة الحمـل . ثم الولادة والتربيـة وعند وجود أحدهما ربما عدم الآخر أو عدما جميعا . ومع وجودهما معا تحصل المفارقة بينهما والمباينة لـكل منهما فى الـكمية والـكيفية . وليس

الى هذا القسم الجسماني البهيمي أشار الشارع . والعجب من جسارة من جسر وقال : ان الشارع نسب لله هذا القسم البهيمي . تعالى الله عن هذا علواً كبيراً

فاما مفهوم الروحاني البسيط . فان الشارع لما أسمى صفات الذات الالهية بالاب والابن والروح القدس ، ميز صفات الذات الالهية عن صفات الذوات الحدثة . وان هذه لا تقبل الاشدية ولا الأضعفية أيضا وذلك انا اذا لحنا بعيون العقول والبصائر ودققنا النظر في معنى قول الشارع الاب والابن والروح القدس وجدنا هناك معان كثيرة ومفيدة جداً

(١) يتبين ثبوت وجود الوالد ووجود المولود منه . وثبوت وجود المولود ووجود الوالد له . كما انه بوجود الشمس وجود النور منها واختفائها اختفاؤه

(٢) لا يصح وجود أحدهما مع عدم الآخر فان هذين الاسمين متلازمان معا في الوجود معاً

(٣) الابن من الاب وليس الاب من الابن وقد تبين هذا في الانجيل المقدس قوله : والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله

(٤) وجود الاب لم يتقدم وجود الابن كما ان وجود النار لم يتقدم وجود النور منها بل بوجود كل منهما يثبت وجود الآخر

(٥) النور يتولد من النار وليس النار متولدة ولا منبعثة من النور

(٦) ولادة النور من النار غير منقطعة ولا النور مفارقا لها ولا منقطعاً منها ولا منفصلا عنها . فالاب لم يزل والداً للابن المولود منه كولادة النار للنور . والابن لم يزل مولوداً من الاب الوالد له دائماً أبداً سرمداً كولادة النور من النار

وتلك الولادة غير متناهية ولا منقطعة . ولا منفصلة ولا مفارقة ، بل ولادة إلهية لا زمان فيها ولا تقدم للوالد على المولود بالزمان واعلى من ان تخطر بالاوهام والافكار . وهكذا العقل الصحيح فانه لا يفترق من

ولادة الفكر الثابت معه فالعقل والفكر موجودان معاً . فالعقل وما يلده هما واحد فقط لا اثنان .

(٧) النار كلها نور ونورها منبعث منها مضىء للظلمة . غير منقطع الانبعاث منها ولا مفارقاً لها ولا منفصلا عنها . وليس هما اثنان ولا كثيراً بل واحد نار ونور

(٨) الاب والابن جوهر واحد وكذلك النار والنور جوهر واحد ولهذا تقتبس النار من نور الشمس . فكل صفات الاب هى موجودة ثابتة للابن المولود منه اذ هما واحد لا اثنان

(٩) الاب والابن والروح القدس ذات واحدة إله واحد سلطان واحد ذو ثلاث صفات لا ثلاثة آلهة ولا ثلاث ذوات . هو اب وابن وروح قدس . والد مولود ومنبثق . فولادة ابن الله ليس لها زمان ولا وقت ولا اوان . فلا مدة قبله ولا بعده ولا معه . الله اعلى وارفع من كل المقول وهو والد حكمته وعدله الذى هو ابنه وحيده بغير بدء وبغير فتور .

(١٠) كما ان الاب قديم ازلى كذلك الابن ايضاً قديم ازلى اذ هما جوهر واحد لاهوت واحد ذات واحدة

(١١) كما ان للاب الحياة فى ذاته كذلك الابن ايضاً له الحياة فى ذاته ولهذا قال فى الانجيل المقدس كما ان الاب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن يحيى من يشاء وليس الاب يدين احداً بل اعطى الحكم كله للابن لكى يكرم جميع الناس الابن كما يكرمون الاب والذى لا يكرم الابن لا يكرم الاب الذى ارسله

(١٢) كل صفات الاب موصوفاً بها الابن ايضاً

(١٣) النار المحسوسة وهى خلق من مخلوقات الله تعالى غير مرئية فى ذاتها وغير ممكن رؤيتها للخلق خلواً من اتحادها بجسم قابل للاتحاد بها هكذا النار الالهية غير ممكن رؤيتها للخلق خلواً من احتجابها بجسم قابل

الاتحاد بها . ولهذا فان موسى النبي لما نظر نور جلال النار الالهيـة برقع وجهه لأن كل من كان يرى وجهه يموت للوقت

(١٤) النار تمكن اتحادها بالأجسام القابلة لها غير ممتنع عليهـا ذلك بل واجب ضروري لها

(١٥) النار المتحدة بالأجسام القابلة لها نار تامة كاملة فيها كل كمال النار في جوهرها وفعلها ، لأنه لا توجد نار صغيرة ونار كبيرة بل طبيعتها في الحرارة والانارة واحدة وبقدر تغذية النـار بالهيولى تظهر عظمتهـا باشتعالها به وبتكاثر فعل احراقها وهى منبعثة من تلك النار غير مفارقة له ولا منقطعة منه لأن المفارقة تقتضى النقص وكما يقدر النقص أمكن عدمه ولهذا المعنى قال بولس الرسول كالمسيح الذى فيـه كل كمال اللاهوت بالتجسم العجيب

(١٦) اذا كانت النار لا تعلم كيفية انبعاثها من استقصها ولا كيفية عودتها اليه هكذا كلمة الله لا يعلم كيفيـة نزوله ولا صعوده ولا كيفية اتحاده بالجسد البشرى

(١٧) النار تعم الوجود نفعاً ولا تقبل فى ذاتها الزيادة ولا النقص بل قائمة فى حدها الذى حده لها الخالق الأزلى

(١٨) قول داود النبى خالق الله ملائكته أرواحاً خدمة نار تتقد فلو كانت النار مرئية فى جوهرها وطبعها لكنا نرى خدام الله تعالى فى كل وقت بل هم يروننا ونحن لا نراهم مع انهم موكلون بحفظنا ملائكة الخير منهم وملائكة الشر وقد ذكرهم سيدنا لما منع التلاميـذ الصبيان ان يتقدموا اليه قال دعوهم فان ملائكتهم فى كل حين تنظر وجه أبى الذى فى السموات وقال ان الروح تهب وتسمع صوتها ولا تعلم من أين أتت ولا إلى أين تذهب وهكذا الارواح النجسة تتصل بالآدميين والحيوان وتجد أثرها فيهم من غير ان تراها وقد شهد بذلك الشرع والأثر

(١٩) قول موسى النبى إلهنا نار آكلة ورأى حزقيـال النبى منظر

صورة الله شبه منظر نار وقال بولس الرسول ان الرب إلهنا نار آكلة .

(٢٠) اذا ارتفعنا بعقلنا من تأمل النار المحسوسة الى تأمل النار الالهية ومن تأمل الأبوة والبنوة الروحانية الزمنية أعني ميلاد النور من النار الى تأمل الأبوة والبنوة الالهية الازلية أعني ميلاد الابن الكلمة من الاب ومن تأمل اتحاد النار المحسوسة بالاجسام الى تأمل اتحاد النار الالهية بالانسان فبأي مقدار نرتفع وإلى أي علو نصل حينئذ يتبين لنا سر أقوال سيدنا المسيح وعن المناظر الالهية . قال بولس الرسول ونحن الآن ننظر الاشياء كالناظر في المرآة وفيما بعد ننظرها مواجهة .

وقال يوحنا الانجيلي لما سأل فيلبس يا سيدنا أرنا الاب وحسبنا قال له يسوع أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني يافيلبس من رآني رأى الاب كيف تقول انت ارنا الاب أما تؤمن انى فى ابى وابى فى . الكلام الذى كلمتكم به لم اتكلم به من عندي وحدى بل الاب الحال فى هو الذى يفعل هذه الافعال . آمنوا انى انا فى ابى وابى فى والا من اجل الاعمال آمنوا بى . الحق الحق اقول ان من يؤمن بى يعمل الاعمال التى اعملها وافضل منها يصنع لانى انا ماض الى الاب والذى تسألونه باسمى يعطيكموه ليتمجد الاب بالابن وان سألتمونى باسمى افعل لكم ما تريدون

شرح يحيى بن عدى . ان البارى جل وتعالى جوهر واحد ذو ثلاث صفات كل واحد منها غير الآخرين فى المعنى وان ذلك ليس بممتنع ولا مستحيل كما يظنه البعض بإيجادنا ذلك فى الاشياء المشاهدة ان من الاشياء المباينة انا اذا نصبنا مرآتين على مقابل وجدنا فى كل واحدة منها صورة جميع ما يقابلها وكل واحدة منها تقابل نظيرها ففى كل واحدة منها اذن صورة نظيرتها . ومن البين أيضاً بالعيان انا لسنا نجد فى كل واحدة من المرآتين صورة الاخرى فقط دون جميع مافيها من الصور بل نجد فى كل واحدة منها صورة ذاتها وهى بعض الصور التى قبلتها

فيجب ضرورة ان تنعطف صورة كل واحدة منها فتوجد فى ذاتها

فاذا نحن تأملنا وجدنا لصورة أى المرآتين احدى ثلاث احوال كل واحدة منها غير الحالين الآخرين : احداها الحال التى لها فى وجودها عين وهى الصورة الموجودة فى الحديد (كانت المرآة قديماً تصنع من الحديد المقسى الى الفولاذ المصقول) وغيره من الاجسام الصقيلة القابلة لصورة ما يقابلها . ومن البين ان هذه الصورة بهذه الحال سبب وجود الصورة بالحالين الباقيين

وذلك انا لو توهمنا ارتفاع هذه الصورة لما وجـدت الصورة التى فى المرآة المقابلة لها . واذا لم توجد هذه (المقـابلة) لم تنعطف الصورة الى المرآة التى صدرت عنها فتوجد فيها . وليس بممتنع ان توجـد الصورة التى فى الحديد ولا تقابلها مرآة أخرى ولذلك لا توجد صورة اخرى غير التى فى الحديد ولانها لا توجد فى شىء مقابل لها لا تنعطف صورتها فتوجد فيها بالانعطاف وجوداً مخالفاً لوجودها فى الحديد . فقد ظهر ان هذا الوجود سبب الوجودين الآخرين اذ كان برفعه نتوهم ارتفاعهما ومتى وجد وجب ضرورة وجوده وهذا الوجود مماثل لوجود الاب وهو علة الابن والروح القدس وهما معلولاه (والعلة هنا بمعنى المبدأ ليس بينها وبين معلولها أى اختلاف كان لافى الجوهر ولا فى القدم ولا فى الكمال

واما الحال الاخرى فهى وجود الصورة بعينها فى المرآة المقابلة لها وهى فى ذلك مماثلة لوصف الروح منبعثاً خارجاً من الاب

والحال الثالثة وهى الحاصلة بالانعطاف فى المرآة التى عنها صـدرت وهى مقابلة لصفة الابن اذ له المماثلة للاب من جهتين احداهما فى الصورة والاخرى وجوده فى ذات الاب وغير خارج عنه

فقد تبين ان هذه الصورة اذ هى صورة واحدة غير متكثرة بهـذه الصفات الثلاث واختلفت صفاتها بها صارت ثلاثة موضوعات معنى كل واحدة منها غير معنى الاخرين . فان ليس احد له عقل ينكر ان الصورة

التى شاهدها فى الحديد لا خلاف بينها وبين الصورة المشاهدة فى المرآة المقابلة لها وانها هى والصورة المنعطفة عن المرآة المقابلة صورة واحدة بعينها . ولا يشك ايضاً فى ان معنى كل واحدة من الاحوال الثلاث غير معنى الاخريين وذلك ان معنى كونها موجودة فى الحديد غير معنى كونها منعطفة من المقابلة الى ذاتها . ومعنى كونها منبعثة الى المقابلة الصادرة عنها حتى حصلت فيها غير معنى الاخريين فقد ظهر اذن انه قد وجدت الصورة بعينها فى ثلاث احوال تتكثر اذا اقترنت بها الصفات الثلاث فتكون الصورة فى الحديد غير الصورة التى حصلت فى المرآة التى هى صورتها لا بما هى صورة بل بما هى فى الحديد وفى المرآة المقابلة ومنعطفة الى المرآة التى هى صورة لها

فقد تبين ووضح انها واحدة من حيث هى صورة وانها اذا اقترنت بها الاحوال وان شئت فقل الصفات صارت ثلاث أشياء تتوحد من حيث هى صورة وتتكثر بصفاتها

وهذا التمثيل وان كان لانه محسوس أوضح من التمثيل بالعقل والعاقل والمعقول واقرب الى فهم الذين لا يكادون يعرفون غير المحسوسات فان التمثيل بالعقل والعاقل والمعقول اشبه منه واولى . فنحن لذلك نذكره فنقول : إذ كان كل من يعقل بالعقل وكان لعقل بعض الاشياء المعقولة فمن البين ان العقل نفسه انما يعقل بالعقل . ومن البين ان العقل ذات من الذوات الموجودة . وان معنى كونه عقلا لا يتضمن معنى كونه عاقلا أو معقولا وان معنى كونه معقولا غير معنى كونه عقلا أو غير معقول أو عاقلا . فظاهر لكل سليم العقل انه اذا كان هو الذى يعقل ذاته من قبل انه يعقل ذاته يحصل معنى العاقل ومن قبل انه هو الذى تعقله ذاته يكون معقولا لذاته فقد حصل له ثلاث صفات مختلفات اعنى انه عقل وانه عاقل وانه معقول وهو ذات واحدة . وذلك ان الذى هو عقل هو بعينه الذى هو عاقل ومعقول . فمن حيث ان اسمه « العقل » انما تسمى به ذاته مجردة

من غير ان يضاف اليها شيء آخر هو علة النعتين الآخرين اللذين يستحق ان توصف هذه الذات بواحد واحد منهما اذ يضاف معناه الى الذات المجردة فتوصف من حيث هي متصورة لذاتها انها عاقلة ومن حيث هي متصورة فانها معقولة فظاهر اذن ان معنى العقل مجرداً هو علة النعتين الآخرين . اعنى معنى العاقل ومعنى المعقول اذ كان متى تصور ارتفـاعه ارتفع مع ارتفاعه المعنيان الآخران

واذا وجد واحد من المعنيين وجد معه لا محالة فهو ذلك مماثل للاب اذ كان الاب علة الابن والروح . ولان معنى العاقل موجود للعقل غير خارج عنه ولذلك ذاته غير مباينة له وغير خارجة عنه وهو مماثل للابن اذ طبيعة الابن وطبيعة الاب واحدة . ومن قبل انه معقول هو مماثل للروح اذ الروح خارج عن الاب منبعث منه كما ان المعقول من حيث هو معقول هو خارج عن العاقل ووارد اليه

فقد تبينت ووضحت مماثل العقل والعـاقل والمعقول للاب والابن الواحد من حيث ان جوهر العقل هو ذات العاقل وذات المعقول وهذه الذات الواحدة لا تتكثر من حيث هي ذات وانما توصف بثلاث صفات كل صفة منها غير الاخريين فتكثر تلك الذات بصفاتها الثلاث لا من حيث هي ذات وان ذلك مماثل لما تعتقده النصارى في البارى جل وتعالى من انه جوهر واحد غير متكثر بوجه من الوجوه من حيث هو جوهر وانه ذو ثلاث صفات وان شئت فقل ثلاث خواص . واذا انضم ذلك الجوهر اليها صار المجتمع منه ومن واحدة منها مخالفاً من قبل صفته أو خاصتـه لا من قبل الجوهر . وهكذا تبين مما ذكرناه بمعونة الله وحسن تأييده وله المجد دائماً

وقال أيضاً : ان قال قائل : هبكم ساغ لكم ان تقولوا ان الاب علة للابن والروح لان منزلته عندهما منزلة ذات العقل مجردة عن معنى العاقل والمعقول. وان الذات المجردة علة لما قوامه منها ومن معنى آخر يضاف اليها فماذا ليته

شعرى حجتكم فى خصكم الابن بتمثيله بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل مع اعترافكم بانهما معاً فى الجوهر والطبيعة والقدرة والمجد لا فضل لأحدهما على صاحبه فى ذلك

(الجواب) ان الذى اشهر عندنا بان المماثل للابن هو العاقل دون المعقول هو ماورد به الانجيل من ان الابن هو المتأنس دون الاب والروح فوجب بذلك ان المماثل للابن انما هو العاقل دون المعقول. وذلك ان الانسان لا يمكنه ان يصير عاقلا للذات المجردة فيشبه بذلك الابن الذى مثلناه بالعاقل للذات المجردة وهذا معنى اتحاد الانسان بالاله الابن . وأما المعقول فانه يمتنع فى الانسان ان يصيره لانه يمتنع ان يصير الذات المجردة ولذلك لا يمكنه ان يتحد بها ولهذا السبب خصصنا الابن بتمثيلنا اياه بالعاقل دون المعقول والروح دون العاقل

رسالة ابولس الراهب أسقف صيدا

أما بعد فانا معشر النصارى نعتقد فى الله تقدست اسماؤه وجلت آلاؤه انه واحد بالذات مثلث بالصفات التى نسميها أبا وابناً وروحا قدساً . نريد بذلك تصحيح القول انه تعالى شىء حى ناطق فالشىء الذى هو عندنا الذات هو الآب والنطق الابن والحياة الروح القدس والثلاث الصفات هى الاله الواحد الذى لا يتبعض ولا يتجزأ . فلا هو ثلاثة بمعنى ماهو واحد أى ليس هو ثلاث ذوات بل هو ذات واحدة ولا هو واحد بمعنى ما هو ثلاثة أى ليس هو صفة واحـدة بل ثلاث صفات . وقد نرى الشمس المخلوقة توصف بثلاث صفات جوهريات لا مستعارات فيقال قرص الشمس وضوء الشمس وسخونة الشمس وكل صفة من الثلاث الصفات حافظة لخاصتها بلا اختلاط ولا تفريق ولا تبعيض ولا تجزىء . فالقرص والد للضوء والضوء مولود من القرص والسخونة منبعثة من القرص مستقرة فى

الضوء . والثلاث الصفات شمس واحدة وليست ثلاث شموس وان كان قد يقال لكل صفة من الثلاث الصفات شمس . لانه قد يقال عن القرص ان الشمس قد جرت فى وسط السماء ، وعن الضوء ان الشمس دخلت الى وسط الدار ، وعن السخونة ان الشمس قد احرقتنى . واذا كان هذا المجرى يجرى فى الشمس المخلوقة ففى خالق الشمس الطف وافضل

مقال للقديس سمعان بن كليل

ان كل شيء موجود لا بد له من أحد قسمين وهى إما أن يكون قائماً بنفسه ولا يحتاج فى وجوده إلى غيره وهذا هو الجوهر . واما أن يكون قائماً بغيره ولا قوام له بنفسه ومفتقراً فى وجوده إلى سواه وهو العرض وان هذين القسمين ليس لهما ثالث . وان أشرفهما القائم بنفسه وهو الذى لا يحتاج فى وجوده إلى غيره ولما كان البارى تعالى أشرف الموجودات جميعها وانه هو الذى شاء فخلقت وجب أن نصفه بالقسم الشريف وهو الجوهر ولهذا قلنا انه هو جوهر لا كالجواهر المخلوقة لنثبت بذلك وجوده وننفى عنه العرض كما قلنا انه موجود لا كالموجودات المخلوقة لانه شاء فخلقت ولما أثبتنا وجود الخالق وأثبتنا انه جوهر فلا بد من اثبات الحياة لأن صدور الفعل الارادى من غير حى محال فى ذاته . ثم لما ثبت وجود الصانع والحياة فلا بد من ثبوت النطق لأن الأفعال المحكمة لا يمكن أن تكون من غير ناطق ولهذا قد وجب بلازم الحق أن نصف جوهر الخالق بالموجود الحى الناطق والاقرار بان معنى الوجود غير معنى الحياة ومعنى الحياة غير معنى النطق وان لكل واحد من هذه الثلاث معان غير الآخر بدلالة صحيحة لا يشك فيها ولا يرتاب ثم لما كان الحق قد أوجب بالبرهان الصادق أن نصف الخالق الموجود الحى الناطق لزم أن نبين انه لا يكون موجود على الحقيقة الا من اشتق له ذلك من الوجود فانه لا يكون حى

على الحقيقة الا من اشتق له ذلك من الحياة وانه لا يكون ناطق على الحقيقة الا من اشتق له ذلك من النطق لأن الوجود والحياة والنطق صفات ذاتية جوهرية وذلك ان الصفات الذاتية لا تصح للموصوف ولا يجب له أن ينعت بها الا من جهة الاشتقاق لها من غيرها لان لكل موجود وجود ولكل حى حياة ولكل ناطق نطق وذلك أن العدم والموت والجهل إنما ينتفون على الحقيقة بالوجود والحياة والنطق الذين بهم يجب أن يسمى الموصوف موجوداً حياً ناطقاً وهذا من الأقاويل التى يجتمع على صدقها كل واحد الا الذين يقصدون عناد الحق لأن هذه الصفات المذكورة صفات جوهرية ذاتية فاى صفة ذكرتها منها لا يمكن أن تستضيف معها جواهر أخر والدليل على ذلك انا اذا قلنا بصيراً استضافت هذه الصفة معها المبصور وان قلنا سميعاً استضافت معها المسموع به واذا قلنا قادراً أجرت معها المقدور عليه وان قلنا جواداً أجرت معها المجود عليه وإذا قلنا عالماً أجرت معها المعلوم به وما أشبه ذلك فاما هذه الصفات الذاتية ان قلنا موجوداً لم نجد هذه الصفة تستضيف معها جوهراً آخر وان قلنا ناطقاً فلم نجدها تجر معها شيئاً غيره لأن هذه الصفات الذاتية وان كانت كل واحدة منهن غير الأخرى فهن لذات واحدة ولجوهر واحد. وقد يجوز وصف الخالق جل اسمه بكل الصفات الحسنة التى هى غير الذاتية من غير اشتقاق وذلك انه قد سبق فوصف جلالته بها على السن أنبيائه الأبرار ورسله الأطهار دلالة على ربوبيته وإشارة الى وحدانيته لا من أجل عزته وقوته ولا من حيث جبروته وقدرته لأن سلطانه يجل عن الصفات وعظم شأنه يفوق النعوت المكرمات بل أراد أن يفهمنا بذلك انه محيط بكل شىء علماً ولا تحوط به نهايات العلم وانه دائم البقاء والوجود وهو الاله المعبود. فاما وصف الناس بالأسماء الحسنة فهى للبارى جل اسمه على الحقيقة وهى لهم بالاستعارة لأن الاشتراك انما هو فى الألفاظ وأما فى المعانى فليس بينهم وبينه نسبة كقولنا عزيز وحليم ورؤوف

ورحيم وجواد وكريم وعالم وحكيم ونظائر ذلك والذى اجتمع على صدقه العامة من الناس والخاصة منهم وهم متفقون عليه جميعاً ولا يجوز لاحد ان ينكره ولا يدعى فساده انه لا يكون فعل لغير موجود ولا يكون فعل ارادى لغير ذى حياة وانه لا يكون فعل محكم لغير ذى نطق فاى صفة أخذنا من هذه الصفات الذاتية الثلاث مع الجوهر العام لها ان شئت ان تقول إلهاً كان ذلك جائزاً وان شئت أن تقول اقنوما كان ذلك أيضاً جائزاً لأن الثلاث لشيء واحد وهذه إشارة إلى الجوهر المعتبر مع كل صفة منها وذلك لأن العقل يصدر عنها لا عن واحد منها وذلك أن هذه الاقانيم الثلاث متفقة في الجوهر مختلفة في القنومية لان كل قنوم منها له خاصية غير خاصية الآخر وكل واحد منها جوهر بمعنى انه ليس في موضوع يجمعها الجوهر الواحد العام لها وهو واحد بالعدد ولن يقال انها ثلاثة جواهر كما انه لا يقال انها ثلاثة آلهة وبيان ذلك انا قد نقول إذا كان ابراهيم مثلا طبيباً وكاتباً ومهندساً فابرهيم ليس هو ثلاثة اناس بل انسان واحد والانسان أيضاً نفسه جوهر وجسمه جوهر وعقله جوهر وهذه جواهر كثيرة وهى جميعها لجوهر واحد وزيد نعلم أن المثل ليس هو كالمدلول لان الامر أعظم ان يوصف بالحقيقة بل من طريق التشبيه والتمثيل لا على طريق التحقيق والتحصيل الذى لا يفهمه الا رب العالمين إله الخلائق أجمعين وذلك أن من المحسوسات أشياء كثيرة نعرفها معرفة صادقة لو ألزمنا بوصفها على الحقيقة لعجزنا عن وصفها على التحصيل وذلك انه لو قيل لنا ما هو الفرق بين رائحة المسك ورائحة العنبر أو ما الفرق بين طعم التفاح وطعم السفرجل أو ما الفرق بين حمرة الورد وحمرة الجلنار لعجزنا عن تأدية الوصف لشيء منها على حقيقته لاسيما أسرار غامضة غير مدروكة ولا محسوسة وإنما ضرب الامثال يقرب المعنى ويصور في العقل لنفوسنا ما لا نقدر أن توفيه حقه في الوصف كما قد سبق الفيلسوف وقال : ان قوانا قاصرة عن توفية البحث حقه في الامور الالهية

والآفة منا إذا كانت هى فى غاية الجلاء والوضوح وحقيقتها ثابتة لها وربما كانت عندنا بالتمثيل والاشارة ومثل هذا كنحو بصر الخفاش فى ضوء الشمس فان كنا بضعف كلامنا بعيدين من القول فى ذلك على حكم الاستحقاق فلا يجب لنا أن نقف عما تصل اليه قدرتنا فيما عزمنا عليه على مقدار استطاعتنا ولا يلزمنا بالقول أن كل واحد من الاقانيم جوهر بأن تكون الجواهر ثلاثة وبهذا بعينه لا يلزم أن يقال ثلاثة آلهة أو ثلاث ذوات بل جوهر واحد واله واحد وذات واحدة وكل قنوم من هذه الاقانيم بالجوهر الواحد فعله فعل الآخر بغير انقسام لان التثنية والتكثير انما تقع على الأقانيم والخواص كما سبق به ايضاحنا وهى لاله واحد ومعبود واحد لا يحويه مكان ولا يحصره عصر ولا زمان متوحد بجوهريته منفرد بوحدانيته ولو فرض أن يكون اكثر من واحد لانخرم ذلك الغرض على مغرضه باعتزال الواحد عن الآخر لأن اعتزال الواحد عن الآخر يوجب ان يكون كل واحد منهم محصوراً وكلما هو محصور يقع عليه التحديد وكلما هو محدود يجب عليه الحدوث وكل ما هو محدث يجب أن يكون له بداية وكلما كان له بداية فلا بد ان تكون له نهاية وكلما يكون له بداية ونهاية فليس هو ازلياً وما كان غير ازلى لا يمكن أن يكون إلهاً وإذ قد قررنا من جهة المعقول بالبراهين الممكنة والدلائل المحكمة المتقنة وحدانية البارى تبارك اسمه وتثليث اقانيمه وخواصه بالأزلية الواحدة الخالية من التقديم والتأخير والتكبير والتصغير ولهذا يلزم مع ذلك أن نورد مما أخذناه من جهة المنقول الذى هو من المقدمات التى لا تحتاج الى فكرة ومن شروط الرضى والتسليم لتحقق به القول فيما قد أوضحناه من جهة المعقول فى التوحيد والتثليث فمن ذلك قول الرب لتلاميذه بعد قيامته اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم حفظ جميع ما أوصيتكم به ولما جاءنا هذا التوفيق من الله جل وعز بانه سمى ذاته ابا وابناً وروح قدس

وان هذه التسمية وهذا الوصف لم يكونا من غيره لزمنا أن نسميه ونصفه
بما سمى به ذاته ووصفها من حيث أن لا نعدل عن المعانى التى قدمنا
ذكرها آنفاً وهى الوجود والنطق والحياة فاذن قد لزم من جهتى المعقول
والمنقول الاقرار بالاقانيم الثلاثة وخاصياتها الثلاث لاله واحد . فالاب
له خاصية الابوة وليس هو ابناً وروح قدس . والابن له خاصية البنوة
وليس هو اباً ولا روح قدس . وروح القدس له خاصية الانبثاق وليس
هو أباً ولا ابناً . فقولنا أباً يفيدنا معنى هو غير المعنى الذى يفيدناه
قولنا ابن وغير المعنى الذى يفيدناه قولنا روح قدس من اجل الوجود .
وقولنا ابن يفيدنا معنى آخر وهو غير المعنى الذى يفيدناه قولنا اب وغير
المعنى الذى يفيدناه قولنا روح قدس من اجل النطق . وقولنا روح قدس
يفيدنا معنى آخر وهو المعنى الذى يفيدناه قولنا اب وغير المعنى الذى
يفيدناه قولنا ابن من اجل الحياة المنبثقة من الاب فى الابن فالاب خالق
بذاته ناطق بالابن حى بروح القدس . والابن خالق بالاب لانه أشرق من
جوهره من غير افتراق منه وهو ناطق بخاصيته حى بروح القدس . وروح
القدس خالق بالاب ناطق بالابن حى بخاصيته ثلثة أقانيم ثلاث خواص
جوهر واحد اله واحد معبود واحد سلطان واحد ذات واحدة قدرة
واحدة مشيئة واحدة من غير انقسام ولا افتراق ولا انفصال ولا تضاد
توحيد بالذات وتثليث بالصفات . ثم قلنا ان الولادة الطبيعية تقال على
نوعين فمنها ولادة كثيفة بمباضعة وتناسل وتقدم الوالد على المولود وتأخر
المولود عن الوالد كولود اسحق من ابرهيم وكولود سليمان من داود .
ومنها ولادة لطيفة من غير مباضعة ولا تناسل ولا تقديم ولا تأخير بغير
زمان ولا انفصال ولا افتراق ولا انعزال بين الوالد والمولود كولادة
النفس للنطق وولادة قرص الشمس للضوء وولادة النار للحرارة فالاب
لم يزل والداً أى ناطقاً والابن لم يزل مولوداً أى نطقه وروح القدس
لم يزل حياة منبثقاً من الناطق الى نطقه فليس الاله ثلاثة بمعنى ما هو

واحد أى انه ليس ثلاثة جواهر ولا ثلاث ذوات بل جوهر واحد ذاته واحدة ومعبود واحد ورب واحد وليس هو ايضاً واحد بمعنى ما هو ثلاثة أى انه ليس بموصوف بصفة واحدة بل موصوف بثلاث صفات كل صفة منهن غير الاخرى فكما أننا نصف النار الواحدة بالاشتعال والضوء والاحراق وكل صفة من هذه الصفات غير الاخرى هكذا وصفنا لله الواحد الآب والابن والروح القدس يعنى بذلك الموجود الناطق الحى

شرح القائمقام نوتين من فرقة المهندسين

صاحب كتاب البراهين العقلية والعملية فى صحة الديانة المسيحية المطبوع سنة ١٩١٩ بمطبعة النيل المسيحية قال :

علاقة تعليم الثالوث بالديانة الطبيعية : وأخيراً علينا أن نطرق باب البحث فى موضوع الموافقة بين التعليم المسيحى عن الله وبين الديانة الطبيعية . فنقول انه لا تناقض البتة بين الاثنين لأن أدلة الديانة الطبيعية وان كانت تشير إلى وحدة الله إلا انها لا تتعدى مجرد اظهار الوحدة فى الاعمال الخارجية ولا تستطيع البتة ان تصف لنا ذلك الاله الواحد وهل هو كائن فى اقنوم واحد او اكثر فاذا أخذنا مثلا عدداً من الخطابات المتشابهة لبعضها حكمنا بأنها خط رجل واحد ولكن لا نستدل منها على أوصاف ذلك الرجل نفسه من حيث ارادته الحرة وجسده وعقله ولا نسبتها الى بعضها فالديانة الطبيعية لا تناقض المسيحية فى وجه من الوجوه.

وربما يخطر على البال أن تعليم الثالوث أبعد عن الفهم والتصديق من تعليم التوحيد ولكن توجد أسباب تحملنا على الظن بعكس ذلك لأن ديانة التوحيد وان كانت أسهل الديانات مأخذاً بحسب وضعها الظاهرى الا انها اصعبها كلها بالنسبة الى الاحتفاظ بها . ثم أن تعليم الثالوث بوجه للعقل فهو يستلزم اعمال الفكرة والاستقصاء فى الدرس والبحث وبعد

ذلك تزول كل الصعوبات . ويرى الباحث انه اقرب للعقل وأهون للتصديق من تعليم الوحدانية

فالتعليم المسيحى يمحو تلك الصعوبة الهامة الموجودة فى اعتقاد الموحدين وهى الزعم بوجود إله غير محدود ولكنه اله ذاتى لأن الشخص أو الذات يفهم منه وجود كائن مستقل منفصل عمن سواه والذات الأزلى يجب ان يكون له وسط ذاتى (حالة) وذلك غير موجود فى اعتقاد الموحدين لكن الديانة المسيحية تشير إلى اكثر من اقنوم واحد خلافاً للديانة التوحيدية ففى تعليم الثالوث الأقدس «الله كامل فى نفسه ومتضمن فى كيانه كل ما هو ضرورى لأجل كماله» وأما فى تعليم التوحيد «فالله إله منعزل عمن سواه كائن بمفرده منذ الأزل» والا فالموحدون مضطرون ان يجعلوا الكون نفسه أزلياً معه مشاركا له (والعياذ بالله من ذلك)

وفى هذين التعليمين صعوبات جمة لأننا اذا أخذنا مثلا صفتى القوة والحكمة وقد عرفنا انهما من صفات كائن عاقل قادر على القصد . كيف استطاع الله بصفته الهاً منعزلا كائناً بمفرده قبل خلق العالم ان يستعمل هاتين الصفتين إذا لم يكن من استعمالهما غرض معين ؟ ولو كان الأمر كذلك لما احدث بقوته شيئاً ولا استنبط بحكمته رأياً ولكان الله الهاً متسلطاً فقط دون أن تدرك لقوته وجبروته معنى وهذا رأى بعيد الاحتمال والتصديق . واما الفكرة الثانية فلا يتحتم بمقتضاها جعل العالم نفسه ازلياً فقط ولكنها تجعله ايضاً ضروريا لكيان الله وهذا رأى يصعب علينا التسليم بصحته لانه وان كان الكون المادى الكائن منذ الازل يقدم لنا غرض الله فى استعمال قوته وحكمته الا اننا قد عرفنا بأن لله صفات أدبية غير هذه كالاحسان والجود وهو فى الحقيقة كائن عاقل ادبى وكل الصفات الادبية (وهى كل شىء متعلق بالصواب والخطأ) لا نقدر ان نتصورها الا كائنة بين شخصين عاقلين فمثلا لا يمكن للانسان ان يظهر الشفقة للحيوان ولكن هذا راجع الى ان الحيوان يشبه الخلائق العاقلة من حيث شعوره بالمسرة والالم ولكن الصفات

الادبية باسمى معناها لا توجد الا بين شخصين عاقلين واذا كان للاله الازلى هذه الصفات عينها (وهو أمر محقق) وجب أن يكون معه ذات (اقنوم) أزلى آخر ولسنا بذلك نريد ادخال فكرة وجود إله آخر على ذهن القارى ولكن اردنا ان نقول (مهما صعب ادراك قولنا) انه يوجد اكثر من اقنوم واحد ولكنهم إله واحد

نعم ان اقامة الدليل على صدق هذا القول من الصعوبة بمكان ولكننا سنعالج الأمر بضرب مثل هذه الامثال كصفة المحبة مثلا فهى (ان لم تكن محبة الذات) تستلزم وجود شخصين ليتبادلاها الشخص المحب والآخر المحبوب وبما ان المحبة هى صفة من صفات الاله فقد وجب ان يكون هناك اقنوم ازلى آخر معه ليتبادل المحبة معه والا لخلق الله منذ الازل اشخاصاً كالناس والملائكة لتبادل المحبة معهم وهذا الرأى غير وجيه لان المحبة بأتم معانيها لاتكون الا بين شخصين من طبيعة واحدة — وحتى عند ما يفكر الباحث فى معنى كلمة الله ووجوده فى كل مكان ومقدرته على كل شىء يصعب عليه جداً التسليم باكثر من إله واحد. فعلينا ان نؤمن على الاقل بوجود اقنومين ازليين فى اله واحد وتعليم الثالوث فى الوحدة فى الديانة المسيحية أقرب حل لهذا المشكل (وهو الحق اليقين لا سواه).

وليس هذا كل ما يقال فن الديانة التوحيدية نفسها تؤدى بنا الى ان ننظر الى الالوهية من ثلاثة أوجه مختلفة فاما ان ننظر الى الله كالاله الازلى الكائن (القيوم) المستقل عمن سواه وإما ان ننظر اليه كخالق كل الكون ومنشئه ومنظم الطبيعة وما فيها والذى بيده صنعت كل الارض وهو الذى سيكون يوما ما دياناً لها واما ان ننظر اليه كروح الهى بالنسبة لنا له صلة مستديمة بارواحنا ويتكلم فى داخلنا بواسطة ضمائرنا ومع ذلك فنحن مضطرون بمقتضى تحكيم العقل ان نسلم بان كل هذه الاقانيم الالهية إنما هى إله واحد وهذا هو تعليم الثالوث فى الوحدة بعينه

وبعبارة اخرى نستطيع القول ان الله بحسب الفلسفة إله فائق كل عقل

(منزه) مستقل عن الطبيعة كلها ويحسب المعلوم هو اله حال فى كل مكان يعمل بقوة خفية غير مدركة

والمذهب الاول يتفق مع فكرة الكون المادية التى تزعم بان الله خلق الكون من أمد بعيد وتركه وشأنه منذ ذلك الحين . وأما المذهب الآخر فيتفق مع الفكرة الآلية التى تزعم بان الله لا يزال يعمل فى الكون ويمكن الافصاح عن هاتين الفكرتين بمشابهات بشرية وان تكن غير وافية بالمرام لان ارواحنا تعلو على المادة وتتفوق عليها لانها مميزة عن اجسادنا وأسمى منها ولكنها ايضاً حالة فى المادة . والرأى الاول يؤدى بنا الى الاعتقاد بالله فقط (أى انكار الوحى) والمذهب الثانى يؤدى بنا الىمذهب ألوهية الكون . واذا حسبنا ما لهذه التعاليم من المكانة والتأثيرعلىالعقل البشرى فى كل الاجيال حق لنا ان نقول انها لا تخلو من بعض الصدق . والمسيحية وحدها توحد هذه التعاليم بقولها ان الله فائق سام وفى الوقت نفسه حال فى كل مكان وله صلة متينة بأنفسنا لانه حال فى الانسان والطبيعة على حد سواء ، وضمائرنا أقوى مصادق على ذلك

ولزيادة الايضاح نقول : من المعلوم ان لدينا ثلاثة أدلة اصلية بها نثبت وجود الله .

(الاول) حاجة الكون الى علة خارجية ينسب اليها وجوده وهذا الدليل يستدرجنا الى اله الفلسفة

(والثانى) القصد الظاهر فى مفردات الكون وهذا يستدرجنا الى اله الطبيعة العامل فيها ابداً دائماً

(والثالث) وهو الدليل الادبى يؤدى بنا الى اله الضمير

وان كلا منها يستلزم اقنوماً الهياً ممتازاً عن الآخر ولم يحاصرنا فى خلال البحث أدنى ريب بان الله واحد فقط وهذا هو عين تعليم الثالوث فى الوحدة الذى تهيئه لنا الديانة المسيحية فالآب مصدر كل شىء والابن هو الذى به كان كل شىء والروح هو الذى يشهد مع ارواحنا والكل

ليسوا ثلاثة آلهة بل اله واحد ولا أقصد من ذلك ان الله الفلسفة والله الطبيعة واله الضمير تتفق تمام الاتفاق مع الاقانيم الثلاثة في الثالوث المسيحي ولا هي مستمدة منها بأي وجه من الوجوه ولكن ما أرمي اليه هو الوفاق الظاهر لنا عند مقارنة الاثنين

وأخيراً نستخلص من هذا البحث ان تعليم الثالوث قابل للتصديق لان الطبيعة تضطرنا الى ان نؤمن باله عاقل ذاتي ومثل هذا الاله لا يمكن ان يكون اقنوماً واحداً « أي لا يمكن ان يكون ذا وحدة مجردة وهمية »

تعليم التثليث فوق كل تشبيه

ان الكتاب المقدس وهو كتاب الوحي الالهي عند ما علمنا عن الثالوث الالهي لم يستعمل أي تشبيه لايضاح الثالوث

ولكن الغيورين من المسيحيين اضطروا بازاء الالحاح الجدلي الذي تم بينهم وبين غير المؤمنين بالتثليث ، ان يستعملوا تشبيهات وتمثيلات لايضاح التثليث كما رأيت أيها القارىء مما اوردناه هنا من أقوال علماء المسيحيين وغير المسيحيين . وان كانت هذه التشبيهات المادية تقرب الفهم وترى الناس امكانية التثليث في الذات الواحدة ، الا اننا نقرر هنا الحقيقة، بانه ليس للتثليث نظير بين جميع المخلوقات التي نعرفها نحن ولا عجب لانه ليس لله تعالى شبيه أو نظير مطلقاً في جميع الكائنات

والمعول في هذا التعليم على تعبيرات الكتاب المقدس التي أوردناها عن التثليث والتوحيد

واذا كان الكتاب المقدس هو الذي انفرد بالتعليم عن التثليث والتوحيد واذا كان القرآن لم يتكلم عن هذا التعليم ولا حتى عن الروح كما أسلفنا القول

فلماذا لا يقبل المسلمون تعليما انفرد به الكتاب المقدس ؟ والحديث

الذى اوردناه عن البخارى « بان محمداً كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لا يؤمر فيه بشىء » يدل دلالة صريحة بتسليم محمد والمسلمين بأن هناك تعاليم وعقائد لم يؤمر فيها محمد بشىء وكان محمد يرى الاخذ بها كما جاءت فى التوراة والانجيل

وها التوراة وها الانجيل قد ثبت بكل جلاء ووضوح فيهما عقيدة التثليث والتوحيد

فلماذا لا يأخذ المسلمون بما أنزل الله من تعليم قويم جاء فى الكتاب المقدس الموحى به من الله والذى جاء القرآن مصدقا له ومهيمناً عليه وقد جعله الله تعالى مرجعاً لمحمد يرجع اليه فى ما لا يعلم ويزيل الشك من قلبه اذا ما شك

واظن لا يمكن لعاقل او نصف عاقل ان يعود الى النغمة الممجوجة القائلة بان التوراة والانجيل محرفان او بطل حكمهما بعد ان اثبتنا فى كتابنا السابق صحتهما من التحريف والتبديل والنسخ والبطلان

ولم يقو احد على الرد علينا الى هذه الساعة التى نكتب فيها بل على العكس فان الذين طالعوا كتابنا من العلماء المسلمين قالوا ان كلام القمص سرجيوس فى محله لان القول بتحريف التوراة والانجيل كلام لا يقوم عليه دليل ولا يقبله عقل بل يفتح بابا للقول عن القرآن انه ايضاً قابل للتحريف لان كلا من التوراة والانجيل والقرآن يسمى عندنا نحن المسلمين ذكراً وقد وعد الله تعالى قائلا : « انا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون » فاذا سمح الله بتحريف كتاب من هذه الكتب المدعوة ذكراً فان التحريف يتناول البقية ايضاً